وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار ثليجي– الأغواط

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية والحضارة

قسم التاريخ

عنوان المذكرة

دور الطرق الصوفية في مقاومة التواجد الفرنسي في تونس 1881م/1956م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر

من إعداد الطالبة:

بن حمزة رقية

إشراف الأستاذ

د. محمود بن خليفة

الموسم الجامعي2022 /2023م

وزارة العليم العالي و البحث العلمي

جامعة عمار ثليجي– الأغواط

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإسلامية و الحضارة

قسم التاريخ

عنوان المذكرة

دور الطرق الصوفية في مقاومة التواجد الفرنسي في تونس 1881/1956م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر

من إعداد الطالبة:

بن حمزة رقية

إشراف الأستاذ

د. محمود بن خليفة

لجنة المناقشة

اسم ولقب الأستاذ	الصفة	الجامعة
مايدي كمال	مناقشاً	عمار ثليجي
بن خليفة محمود	مشرفاً	عمار ثليجي
بو قرين عيسى	مناقشاً	عمار ثليجي

الموسم الجامعي2023/2022م

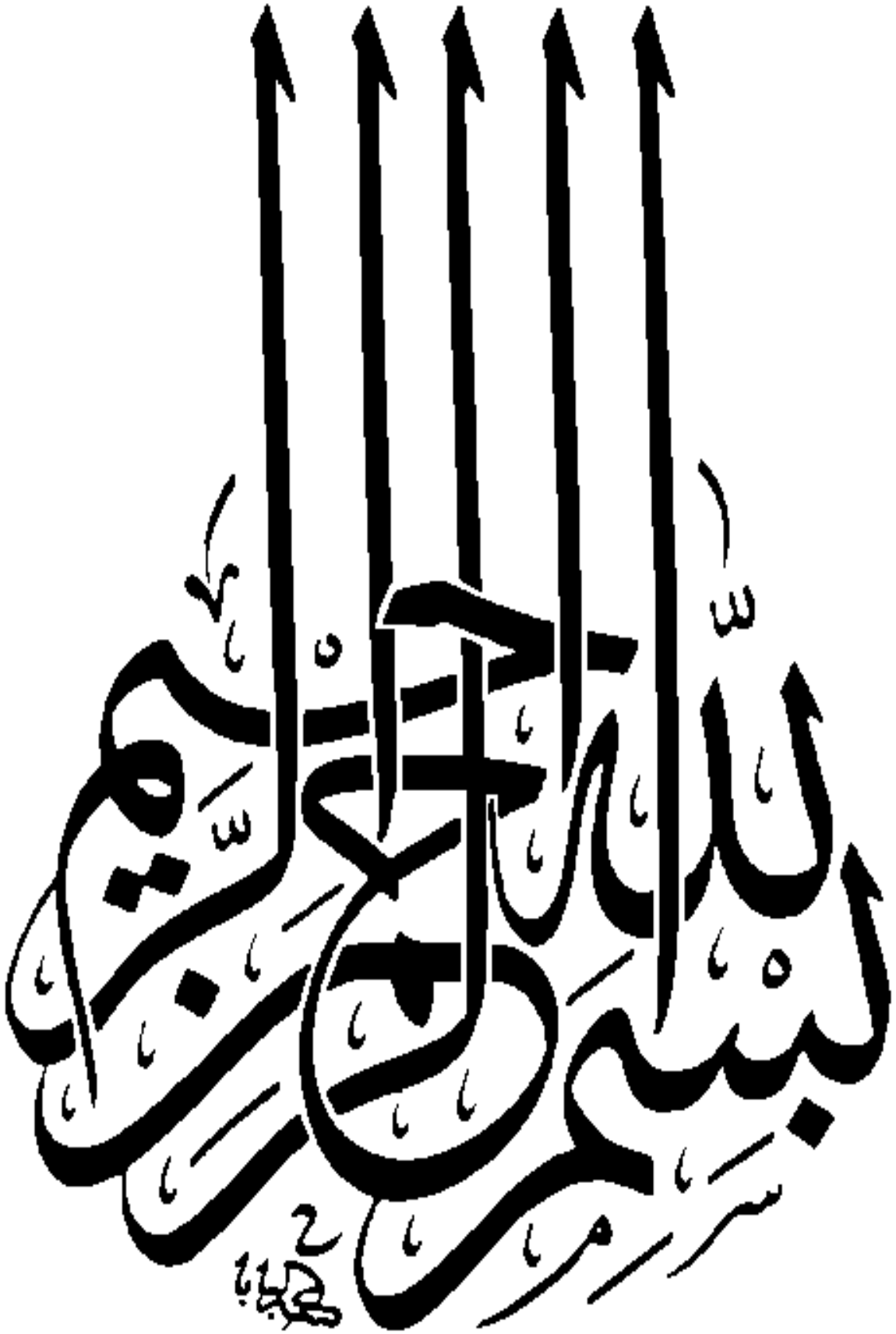
بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر والتقدير

الحمد لله وكفى و الصلاة و السلام على الحبيب المصطفى نبي الهدى محمد المبعوث إلى كافة الورى وعلى أله وصحبه المقفيين أثاره إلى يوم الدين.

أما بعد

الحمد لله الذي وفقني لتثمين هذه الخطوة في مسيرتي الدراسية بمذكرتي هذه ثمرة الجهد و النجاح و انطلاقاً من قوله صلى الله عليه وسلم "لا يَشكُرُ اللهَ مَن لا يَشكُرُ النَّاسَ" تقدم بخالص عبارات الشكر و الامتنان إلى الأستاذ المشرف"بن خليفة محمود" الذي لم يبخل علي بمعلوماته و توجيهاته القيمة التي ساهمت في إثراء موضوع دراستي من جوانبها المختلفة و كما أتقدم بالشكر للجنة المناقشة الموقرة وكل من ساهم من قريب أو من بعيد ولو بكلمةفي بلوغي إلى هذه المرتبة و المنزلة طوال مسيرتي الدراسية، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

الإهداء

والله أن العين لتدمع فرحاً من جمال شعور يخالج وجداني فأحمد الله مخرج

النوربعد الظلام أحمده ربي أن رزقني حسن المسير

و أزف أنقى عبارات الشكر و الا متنان لمن كانوا لنا مثل

الشموع في الليالي المظلمات إلى من بذلت بالغالي و النفيس

في سبيل سعادتي و ارتقائي إلى هذا المصاف جنتي أمي و أغلى

ما أملك إلى والدي العزيز الذي كان العون و السند لي في كل

خطوة كنت أخطوها، إلى جميع عائلتي و أخوتي و أخص بالذكر الأخ الأكبر

الذي كان بمثابة الأب الروحي لي طوال مسيرتي العلمية أو حتى في الحياة

إلى صديقتي خولة التي كانت السند لي في الحياة

فشكراً لكم بحجم السماء.

قائمة المختصرات:

الرمز	معناه
تر	ترجمة
تح	تحقيق
د.س	دون سنة نشر
ج	جزء
ع.د	عدد
ص	صفحة
ط	الطبعة
م	ميلادي
م.ج	مجلد
هـ	هجري
P	page

مقدمة

مقدمة:

يمثل التصوف جزءا كبيراً من التراث الإسلامي، فالدارس للتاريخ و الحضارة الإسلامية لا بد أن يتوقف عنده و يدرسه بشكل دقيق هذا لما له من أهمية في حياة المسلمين باختلاف الأزمنة و الأمكنة، حيث كان ولا يزال التصوف أسلوب ومنهج يتبعهه الكثير من الناس على مستوى الأفراد أو الجماعات، ويتمثل ذلك في الطرق الصوفية المنتشرة في الكثير من البلدان الإسلامية و التي أصبحت مؤسسات قائمة بذاتها بعد أن تبلور التصوف عبر مراحل تاريخية بارزة حتى أصبح بالشكل المعروف، و تحت ما يسمى بالطرق الصوفية التي أسست لها زوايا و مدارس خاصة بها لتلقين مناهجه التي يتخذها كثير من الناس و المجتمعات كمنهج حياة ووسيلة للابتعاد عن الحياة المادية إلى حياة الزهد التي يستطيع من خلالها تحقيق السعادة الدائمة على حد قولهم.

وقد لعبت الطرق الصوفية دور مهم في تلك التطورات والأحداث التي شهدتها بعض الدول الأفريقية خاصة المغرب العربي، وذلك بين القرنين 19م و 20م حيث شهدت غزو أوروبي مس مختلف ربوعها، و بشكل خاص فرنسا التي استولت على دول الشمال الإفريقي الواحدة تلوى الأخرى بداية باحتلالها للجزائر سنة 1830م، ثم تونس في 12ماي 1881م والمغرب في 1912م.

لقد عمدت السلطة الفرنسية إلى أساليب و وسائل للحد من خطورة تلك المؤسسات الدينية خصوصاً و أنها تعتبر أحد أبرز التجمعات و البؤر التي تنطلق منها المقاومات الشعبية.

وبسبب هذه السياسة التي انتهجتها الإدارة الاستعمارية الفرنسية ضد الطرق الصوفية في تونس نتج عنها مواقف غير ثابتة بين الطريقة والأخرى اتجاه مسألة الحماية والأحداث الوطنية التي شهدتها البلاد التونسية عقب فرض الحماية الفرنسية عل أرضها.

- **إشكالية الدراسة:**

إن إشكالية البحث الرئيسية تنبثق من عنوان الدراسة الرئيسي والمتمثلة فيما يلي:

_ كيف ساهمت الطرق الصوفية في البلاد التونسية في مواجهة التواجد الفرنسي على أرضها؟

- وتندرج تحت هذا السؤال تساؤلات فرعية أوردتها كما يلي:
- ماذا نقصد بالتصوف و طرقه وكيف نشأ هذا المنهج في الإسلام؟
- ما هي الطرق الصوفية التي انتشرت في تونس؟
- كيف كانت الأوضاع في البلاد التونسية قبيل الحماية الفرنسية و أثنائها؟
- ما هي السياسة التي انتهجتها السلطة الفرنسية اتجاه هذه الطرق ؟
- كيف كان موقفها من الحماية الفرنسية؟
- ما هو موقفها من المقاومات الشعبية؟
- ما هو موقفها من الحركة الوطنية؟

-أهمية الدراسة:

تكمن الأهمية من هذه الدراسة في معرفة الأبعاد والجوانب السياسية والاجتماعية التي لعبتها هذه المؤسسات الدينية ضد الاستعمار ومواقفها اتجاه سياسته واتجاه المسائل الوطنية البارزة، و دورها داخل المجتمع و مدى تأثيرها على أتباعها فيما يخص قضية الحماية خصوصاً، و أنها تتمتع بنفوذ واسع داخل المجتمع التونسي بالإضافة إلى خروجها عن جانبها الروحي العقائدي الذي تعرف به و إظهار دورها الفعال الذي تلعبه اتجاه قضايا الاستعمار.

- **أسباب اختيار الموضوع:**

قبل التطرق الى موضوع هذه الدراسة، لابد لي من ذكر الأسباب والدوافع التي حفزتني لدراسة هذا الموضوع وقد تجلت على الشكل الأتي:

- رغبتي الشخصية في دراسة الموضوع والتعمق فيه لمعرفة دور هذا الجانب اتجاه مسألة الاستعمار في تونس.
- الرغبة في معرفة أهم الطرق المتواجدة والفعالة في تونس ومدى تأثيرها على المجتمع.
- قلّة البحوث و الدراسات التي اهتمت بدراسة هذا الجانب و خاصة علاقته مع الاستعمار.
- الرغبة في معرفة تاريخ تونس أكثر و التعمق فيه .
- محاولتي لإثراء المكتبة التاريخية بخصوص هذا الموضوع.
- رغبتي في حب المطالعة و الاستزادة أكثر.

–حدود الدراسة:

يمتد الإطار الزماني لهذه الدراسة مابين 1881 والذي يمثل تاريخ انتصاب الحماية الفرنسية على تونس إلى سنة1956م و الذي يمثل تاريخ الاستقلال للبلاد التونسية أما فيما يخص الإطار المكاني فخص البلاد التونسية.

- **منهج الدراسة:**

اعتمدت في بحثي هذا على المنهج التاريخي الوصفي من خلال جمع الأحداث وسردها.

- **خطة البحث:**

تم تقسيم بحثي إلى ثلاث فصول موسومون بعناوين رئيسية تندرج عنها عناوين فرعية و كانت على الشكل الأتي:

اندرج الفصل الأول تحت عنوان **مفهوم الطرق الصوفية و نشأتها**، وقد قسمته بدوره إلى أربع مباحث، المبحث الأول جاء تحت عنوان مفهوم الزاوية، حاولت شرح مفهومها من الجانبين اللغوي و الاصطلاحي، كذلك اتبعت نفس النسق التعريفي في المبحثين الثاني و الثالث فيما يخص التصوف والطريقة، أما فيما يخص المبحث الرابع فقد كان بعنوان نشأة التصوف في الإسلام و أهم طرقه، وقد حاولت التركيز فيه على مراحل النشأة حتى أصبح فيها على شكل نظام طرقي فيما يسمى بالطرق الصوفية ودخوله إلى بلاد المغرب العربي عامة وتونس خاصة.

بالنسبة للفصل الثاني الموسوم ب**الطرق الصوفية والحماية الفرنسية على تونس**، اندرج تحته أربع مباحث تطرقت فيه إلى ذكر أنواع الطرق الصوفية في تونس فمنها ما هو أصلي و منها ما هو فرعي وحاولت تعريف كل طريقة على حدا، وكما حاولت التطرق لموضوع موارد هذه الطرق و أخيراً تطرقت لذكر الحماية الفرنسية على تونس و أوضاعها قبيل الحماية و أثنائها.

في الفصل الثالث والأخير الموسوم ب**دور الطرق الصوفية في مقاومة التواجد الفرنسي في تونس و موقفها من المقاومات الشعبية و الحركة الوطنية**، ذكرت فيه السياسة التي انتهجتها فرنسا اتجاه الطرق الصوفية التي حاولت من خلالها منع خطورتها و تهميش دورها داخل المجتمع و الأتباع و حاولت عرض موقفها من الحماية الفرنسية و المقاومات الشعبية و أخيراً موقفها من الحركة الوطنية أما الخاتمة كانت عبارة عن حوصلة لنتائج و استنتاجات للبحث و الإجابة على الإشكالية.

- **نقد في أهم المصادر والمراجع:**

اعتمدت في دراستي على العديد من المصادر والمراجع والدراسات السابقة رغم قلتها وقد استفدت كثيراً في بحثي هذا من دراسة "التليلي العجيلي " الذي عالج هذا الموضوع بشكل دقيق و مهم بعنوان دراسة الطرق الصوفية و الاستعمار الفرنسي في البلاد التونسية 1881-1939م وقد غذى بحثه هذا بمخطوطات ووثائق أرشيفية هامة ساهمت وبشكل كبير في إثراء معلوماته مما منحها أهمية أكبر.

كذلك كان لدراسة قارة فاطمة حول " موقف الطرق الصوفية التونسية من الحماية الفرنسية 1881-1939م الدور الفعال في اثراء دراستي، رفقة دراسة أحمد دركوش الموسومة بعنوان " مواقف الطرق الصوفية من الاستعمار في الجزائر وتونس 1830-1914م القادرية والتيجانية أنموذجا.

اعتمدت أيضاً في بحثي على كتاب محمد البهلي النيال" الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي" خاصة في الجانب التعريفي للطرق الصوفية دون أن أنسى المنفعة التي قدمها لي كتاب الأستاذ علي المحجوبي " انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، هذا بالإضافة إلى العديد من المصادر والمراجع والدراسات والمقالات والمجلات التي أفادتني في الموضوع وأدرجت في قائمة البيبلوغرافيا.

- **صعوبات البحث:**

لا يخلو بحث من صعوبات تواجه الباحث خلال مسيرته في انجاز بحثه وقد واجهتني بعض من الصعوبات و لعل أبرزها ما يلي:

- قلة المصادر، وإن وجدت فإنها تعالج الموضوع بشكل عام ولا تتعمق في الإشكالية المطروحة.
- بعض المصادر والمراجع غير متاحة ورقيا إلاّ في البلاد المعنية بالدراسة للاستفادة أكثر من خلال مكتباتها التاريخية ولا يمكن الحصول عليها ألاّ بالتنقل.
- نقص المادة العلمية التي تتعلق بالموضوع في مكتباتنا.

الفصل الأول: مفهوم الطرق الصوفية و نشأتها

المبحث الأول:مفهوم الزاوية

المبحث الثاني:مفهوم التصوف

المبحث الثالث:مفهوم الطريقة الصوفية

المبحث الرابع:نشأة التصوف في الإسلام وطرقه.

المبحث الأول:مفهوم الزاوية

أولا:لغة:

مفردها زاوية وجمعها زوايا، وتعني الركن، ويقال فلان زوى شيء ما. أي خبأه وأخفاه،[1]وكذلك تعني مكان الانزواء. وخلوة للعباد الصالحين،[2] وتعني الجمع والطي. ففي الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسلم. "إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها إن أمتي ملكها ما زوى لي منها".[3]

ثانياً:اصطلاحا:

يعرفها الدكتور عبد العزيز شهبي في كتابه المعنون بالزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، بأنها مراكز أنشأت من أجل تحفيظ القرآن الكريم ونشر أخلاق ومعالم وقواعد الدين الإسلامي وفضائله وسط المجتمعات، وكذلك من اجل الحفاظ على العقيدة والإيمان وتحصينها، كما أنها تعتبر خزينة تحتوي على التراث الإسلامي بجميع سجاياه، وملامحه التاريخية الوطنية، وأطلق لقب الزاوية عند مسلمي المشرق العربي على المصلى والمسجد الصغير عكس المغرب الإسلامي الذي ضل فيه المصطلح أكثر شمولا من ذلك، فقد أطلق هذا المسمى عندهم على بناء أو طائفة من الأبنية ذات الطابع الديني،[4]أما بالنسبة للبناء فقد جمعت بين هندسة المسجد والمنزل، ذات حيطان قصيرة وقباب

---

[1]:رشيدةشدري معمر،"الزوايا ودورها الديني والثقافي في الجزائر خلال العهد العثماني"،**مجلة المعيار**، ع49، الجزائر، 2020 ص273.

[2]:بن يوسف التلمساني، **الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر(الحكم العثماني–الأمير عبد القادر–الإدارة الاستعمارية)1782–1900**، (مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر)،غير منشورة، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1997_1998،ص42.

[3]: رشيدة شدري معمر، **المرجع السابق**، ص273.

[4]:عبد العزيز شهبي، **الزوايا الصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر**، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر،2007،ص ص13-14.

وعرصات منخفضة ونوافذ قليلة ومساجد بدون مئذنة،[1]تحتوي عادة على مصلى، وغرفة صغيرة لتلاوة القرآن، ومدرسة للتحفيظ وتلقين علوم الدين وقواعد اللغة العربية، كما تحتوي على مراقد لإيواء الطلبة وضيوف الزاوية والحجاج والمسافرين، وغالبا ما تحتوي على أضرحة، خاصة ضريح الوالي أو مؤسس هذه الزاوية[2]، ويعتبر المسئول الرئيسي على الزاوية في العادة هو المؤسس نفسه أو وريثه فتعتبر مقامه ومصلا، حيث يتردد إليه الطلبة، ويحل النزاعات، ويحكم بين المتنازعين، وفي حال غياب الوالي يخلف أبناؤه أحفاده مكانه على نفس النمط.[3]

[1]:أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، 1998،ص،ص 269-273.

[2]: عبد العزيز الشهبي، **المرجع السابق** ص14.

[3]: أبو القاسم سعد الله، **المرجع السابق** ص271.

المبحث الثاني:مفهوم التصوف:

أ–لغة:

ورد في معاجم اللغة "أنه التخلق بالأخلاق الإلهية"[1]، وتعني كذلك التصوف، أو شعر أو وبر الحيوانات، قال تعالى، {وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَىَ حِينٍ}[2]، وأطلق لقب الصوفية على المتصوفين للبسهم الصوف وليس كما يعتقد البعض على أنها نوع من أنواع الأحوال والعلوم التي يتقنونها، فقد كان لبس أكثر الأنبياء عليهم السلام من الصوف الخشن، ومن ناحية الصفة التي كان يتسم بها أهل الصوفية فقيل ينتسبون إلى الصفاء وهي صفة تدل على الصفاء والنقي من الشوائب وطهارة القلب وضيائه ونزاهته، وهذا يرجع إلى حال الصوفية.[3]

بينما يقول القشيري"ليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق، والأظهر فيه انه كلقب" وذهب الجوهري في تعريفه لهذا المصطلح على أن اشتقاق هذا الاسم لايصح على مقتضى اللغة من أي معنى، لأن هذا الاسم أعظم من أن يكون له جنس يشتق منه، وهم يشتقون من شيء مجانس له وكل ماهو كائن ضد الصفاء ولا يشتق الشيء من ضده، وهذا المعنى أظهر من الشمس عند أهله ولا يحتاج إلى عبارة.[4]

---

[1] : عبد الرزاق الكشاني، **معجم اصطلاحات الصوفية**، تحقيق عبد العال شاهين، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع ،القاهرة ط1، 1413هـ_1992م، ص174.

[2] :سورة النحل، الأية83،80.

3: عفاف مصباح بلق، "التصوف الإسلامي (مفهومه ،نشأنه وتطوره، مصادره)"،**مجلة كليات التربية**، ع14، 2019م ص193.

[4]: لطف الله خوجة، **موضوع التصوف الإسلامي**، سلسلة البحوث المحكمة، مكتبة الملك فهد الوطنية، مكة المكرمة،1432هـ ص24.

بينما يقول احمد الكلاباذي" سميت الصوفية بالصوفية لصفاء أسرارها ونقاء أثارها وقال البشير ابن الحارث"الصوفي من صفاّ قلبه لله"، وقال البعض الصوفي من صفت لله معاملته فصفت له من الله كرامته، وقد سمو صوفية لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل بأعمالهم، كما ذهب قوم آخرون لتسمية الصوفية بهذا الاسم لقرب أوصافهم من أهل الصفة الذين كانوا في عهد الرسول ﷺ[1]. وفي الغالب هي كلمة أعجمية، واللقب أعجمي وليس عربي ولو كانت صورته عربية[2].

ب- اصطلاحا:

من الجانب العلمي فهو علم بأصول، يعرف به صلاح القلب وسائر الحواس.[3]

لكن إذا أردنا أن نعرف التصوف في الاصطلاح لابد لنا من العودة إلى أقوال أهله وخاصته وأصحاب طرقه، لاسيما أنه قد عرف تفسيرات وتأويلات تزيد عن الألف قول حول حقيقته، وقد فسره هؤلاء حسب أهم جانب عند قائله، سواء عند النظر إلى الطريقة أو الخلق أو حتى الغاية، وقد تمثلت أقوالهم فيما يلي:

قال ذو النون المصري[4]الصوفي من لا يعيبه طلب ولا يزعجه سلب، بينما قال سمنون:[5]التصوف ألاّ تملك شيء ولا يملكك شيء[1]، بينما يقول بن علي القصاب وهو أستاذ الجنيد عن التصوف بأنه

---

[1]: محمد الكلاباذي، **التعريف لمذهب أهل التصوف**، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1415هـ-1994م، ص05.

[2]: لطف الله خوجة، المرجع السابق، ص28.

[3]: عبده غالب أحمد عيسى، **مفهوم التصوف**، دار الجيل للنشر، بيروت، ط1، 1413هـ-1992م، ص25.

[4]: **ذو النون المصري**:هو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم الأخميمي المصري، واضع أسس التصوف ولد عام 155هـ/771م وتوفي سنة245هـ/859م في مدينة الجيزة المصرية. **ينظر**: عبد المنعم الحفني، الموسوعة الصوفية، **أعلام التصوف والمنكرين عليه والطرق الصوفية**، دار الرشاد، 1992م، ص165.

[5] : **سمنون**: هو سمنون بن حمزة، قيل أبو الحسن و قيل أبو القاسم الخواص، فقد كان يشتغل بالخوص ويسكن بغداد، توفي سنة298هـ وكان من أصحاب السرى السقطى، القصاب و القلانس. **ينظر**: عبد المنعم الحنفي، المرجع السابق، ص207.

"أخلاق كريمة، ظهرت في زمن كريم، ومن رجل كريم، مع قوم كرام"، ومن هذا نرى بأن الأخلاق الفاضلة تمثل قاعدة رئيسية للمتصوف ولابد للتحلي بها.

-يقول الجنيد البغدادي[2] في شرحه الأخلاقي للتصوف" الصوفي كالأرض يطرح عليها كل فيح ولايخرج منها إلا كل مليح"، ويصفه أيضا "أنه كالمطر يسقي كي شيء".[3]

ويعرفه بشر الحافي[4] "بأن الصوفي من صفا لله قلبه".

عرفه أبو حفص على أنه حسن آداب الظاهر عنوان حسن آداب الباطن، لأن النبي ﷺ قال:"لو خشع قلبه لخشعت جوارحه،" بينما ذهب عالم أخر بتعريفه بأنه استقامة الأحوال مع الله[5]، وقد عرفه البعض على أنه إعراض عن الإعراض، واسترسال النفس مع الله تعالى على مايريده، وأنه حال تضمحل فيه المعالم الإنسانية.[6]

جمع لنا ابن خلدون هذه التعريفات في تعريف واحد حيث قال:"العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والأعراض عن زخرف الدنيا والزهد[7] فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه

---

[1]: محمد يوسف الشوبكي، "مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي"، **مجلة الجامعة الإسلامية**، غزة، ع2، 2002، ص14.

[2]: **الجنيد**:أبو القاسم الجنيد بن محمد الجنيد، أول من تكلم بعلم التوحيد ببغداد، ولد بها ومات بها سنة 297هـ.

[3] : بلحاني جوهر، "الأبعاد الأخلاقية للتصوف الإسلامي"، **مجلة تنوي**، ع2، الجزائر، جوان2017، ص164.

[4]: **بشر الحافي**:ولد سنة 252هـ وهو إن عبد الرحمن بن عطاء، الإمام العالم المتحدث الزاهد الرباني القدرة، شيخ الإسلام أبو نصر المروزي، ثم البغدادي المشهور بالحافي. **ينظر**: عبد المنعم الحنفي، **المرجع السابق**، ص117.

[5]:محمد يوسف الشوبكي، **المرجع السابق**, ص15.

[6] : عقيل بن علي المهدلي، **مدخل إلى التصوف الإسلامي**، دار الحديث،ط2 ، ص- ص62-88.

[7]: **الزهد**:هو الترك والإعراض عن المزهود فيه فلا يرى الزاهد شيئا ولا يلتفت إليه ،إي ترك واحتقار كل ما هو قائم في النفس.**ينظر**: أيمن حمدي، **قاموس المصطلحات الصوفية**،دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 2000م، ص74.

والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة "[1]، وعلى العموم فإن التصوف منهج سلوكي وروحي، بعيد كل البعد عن الطريق المادي، لم يقف الاختلاف فقط حول أصل كلمة التصوف بل حتى مصدرها شهد اختلاف واسع المدى فقد اعتبرها البعض بأن أصلها ومصدرها من الإسلام واعتبرها البعض الأخر على أنها دخيلة على الإسلام، متأثرة بالعادات والتقاليد الغربية بعد الفتح الإسلامي، ولكن هناك آيات وأحاديث نبوية تحث على الزهد مثل قوله تعالى:"تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً"، و كذلك في حديث النبي صلى الله عليه وسلم :"ازهد في الدنيا يحبك الله و ازهد فيما أيدي الناس يحبوك "، إلا أن هناك مؤثرات خارجية أثرت عليه تأثيرات سلبية أبعدته شيئا ما عن قواعد الإسلام إلى التطرف، وبالتالي فإن التصوف لم ينشأ من فراغ بل هو علم قائم بذاته وفق أسس و قواعد محكمة.[2]

[1]: عبد الرحمن بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، دار القلم، ط5 ، 1984م-1419هـ، ص 467.

[2]: زهرة مسعودي، **الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب إفريقيا من القرن 18م إلى 20م**، (رسالة ماجستير، قسم التاريخ)، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة أدرار، الجزائر، 2010/2009م، ص-ص 11-13.

المبحث الثالث:مفهوم الطريقة الصوفية:

أ–لغة:

تعني السيرة أو المذهب أو الحال، وهي مجموعة من التنظيمات لجماعات صوفية[1] فقد قال الله تعالى في كتابه الحكيم: {وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى} [2]، وفي جمعها تعني الطرائق[3]، كما في قوله تعالى: {كُنّا طَرَائِقَ قِدَدًا} "[4].

ب–اصطلاحاً:

الطريقة هي حلقة وصل بين الشريعة والحقيقة الإلهية، وهي أسلوب علمي ويطلق عليها المذهب والرعاية والسلوك لإرشاد المريد عن طريق اقتفاء أثر طريقة التفكير وشعور وعمل تؤدي من خلال تعاقب المقامات إلى تجربة الحقيقة المقدسة، وهي السالكين إلى الله تعالى وهي طرق ذات أعمال تعبدية تنتهجها جماعات إسلامية تقوم على الاجتهادات و الرياضات السلوكية للتواصل الروحي ومعرفة الله تعالى معرفة صحيحة.[5]وقد أطلق عليها "الأحداث النفسية والمغامرات الروحية" التي تعرض لهم فيها باسم الأحوال، والطريقة عقد بين المريد وشيخه يوجه فيها نصائح و إرشادات نخص تلك الجماعة أو الطريقة، لابد للمريد الالتزام بها التزاماً صحيح، ولهذه الطرق مهام وأعمال تختلف

---

[1]: عبد الله بن دجين السهلي، **الطرق الصوفية(نشأتها–عقائدها–أثارها**، كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1426هـ/2005م، ص09 .

[2]:سورة طه(الأية63).

[3] : حمزة بو قدام، "الحضور الصوفي الجزائري بمدينة الكاف خلال القرن 19م"، **المجلة التاريخية الجزائرية**، م ج5، ع2، الجزائر 2021، ص592.

[4]: سورة الجن (الآية 11).

[5]: حمزة بو قدام، المرجع السابق، ص593.

من طريقة لأخرى، فهناك طرق ذات تنظيمات اجتماعية منهجية في المجال الديني على شكل تنظيم هرمي بقيادة شيخ أو رائد ملهم ذا مكانة فكرية وروحية عظيمة، ولعل أشهر الطرق في هذا المجال هي الطرق الصوفية التي يصعد عن طريق منهجها المريد على سلم المقامات والأحوال، وهناك طرق منهجية تختص بها بغية تطهير القلب من كل المؤثرات التي تشغلها عن محبة الله، وكذلك بالنسبة للمجاهدة والرياضة فهي تمثل جانب مهم يبلغ فيها الشيخ أو المريد مراتب عالية من الصوفية مثل "القطب، الغوث، الوتد، البدل" وغيرها من المراتب العالية التي تؤدي إلى حدوث المعجزات والكرامات فيلجأ الناس لها.

وفي تعريف لابن خلدون يخص فيه الطريقة الصوفية يقول:"هي العلم بكيفية تطهير القلب من الخبائث والكدرات، و بالكف عن الشهوات و إخماد القوى البشرية بقطع جميع العلائق البدنية والاقتداء بالأنبياء في جميع أحوالهم، فبقدر ما تتجلى من القلب ويحاذى به شطر الحق تتلألأ فيه حقائق وهذه هي الرياضة والمجاهدة.[1]

[1]: بوغديري كمال، **الطرق الصوفية في الجزائر، الطريقة التيجانية نموذجا**(أطروحة دكتوراه : في العلوم)، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الدكتور محمد لمين دباغين، سطيف، 2014-2015 ص196.

المبحث الرابع:نشأة التصوف في الإسلام وطرقه:

أولاً–التصوف في الإسلام:

مر التصوف الإسلامي بعدة مراحل كانت شاهدة على تطوره، فالمرحلة الأولى سميت بمرحلة الزهد وهي واقعة بين القرنين الأول والثاني للهجرة، فقد شهدت هذه المرحلة بروز شخصيات كانوا يتبعون طريقة زهديه في الحياة من خلال تقديم القُربات والعبادات بالأدعية، كان هدفهم الآخرة أمثال الحسن البصري[1] الذي توفي سنة 110هـ ورابعة العدويةالمتوفاة[2]سنة 185هـ، و الأرجح انه في مطلع عصر الدولة العباسية هروباً من نتائج الفتوحات التي انتشرت على إثرها مراحل البذخ والترف، فلجئوا إلى الزهد و التخلي عن ملذات الحياة والتفرغ للعبادة، ويرجع ذلك أيضا إلى اختلاط المسلمين مع حديثي الإسلام من البلاد الشرقية وبالتالي ستكون لديهم صفات غير منطبعة كلياً بطابع الإسلام .[3]

وجراءً للهيمنة السياسية و الاستبداد السياسي الذي عرفه المجتمع في تلك المرحلة وعجز الناس في التصدي له لجأ البعض منهم إلى التأمل و العزلة و الابتعاد عن الحياة ودخولهم في مرحل التأمل و الملاحظة وصولاً إلى مرحلة التواصل الروحي ودرجة الإشراق، ولكن يرجحه الكثير ورغم الأسباب الداخلية للعالم الإسلامي إلا أن أسسه واردة في عقائد من اليونان و الهند أساساً، ولقد ظهر في المشرق الإسلامي في المائة الأولى و الثانية للهجرة، شهد رفض كبير أوساط أهل السنة، وقد بلغ

---

[1]: **الحسن البصري**:كان عالماَ زاهدا اجتمعت الصفات الحميدة، ثري العلم، مواعضه تصل القلوب، كنيته أبو سعيد، ولد سنة 22هـ وتوفي سنة110هـ، كان زاهدا في الدنيا.**ينظر**: عبد المنعم الحفني، **المرجع السابق**،ص56.)

[2]: **رابعة العدوية**: أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية، كانت البنت الرابعة لأبوها، كانت شاعرة صوفية دفنت للبصرة. **ينظر**: المرجع نفسه، ص172).

[3]:التليلي العجلي، **الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية**، منشورات كليات الأدب بمنومة، تونس، 1992، ص ص 25،26

صداه المغرب العربي خاصة تونس باعتبارها معبر للمهاجرين وطلاب العلم سواء من تونس أو الجزائر أو المغرب أو حتى بلاد الأندلس، هذا مما أدى إلى نشأة و انتشار التصوف في تونس، الذي كان في بدايته و مراحله الأولى عبارة عن زهد اعتنقه و أخذ به الكثير من الرجالات الذين عاصروا تلك المرحلة و قاموا بنشره أوساط تلاميذهم و أهل بيتهم و مجتمعاتهم، وتمثلت أول ملامحه في البلاد التونسية بجهة نابل، حيث كان يتمركز هناك قوم متعبدون تخلوا عن الدنيا و سكنوا الجبال مع الوحوش ولبسوا البردي، وعاشوا على نبات الأرض وصيد البحر، دعواهم مستجابة، وقد كانوا يقيمون في الرباطات التي كانت تمارس فيها الطقوس و العبادات، وفي نفس الوقت كانت مكان للحراسة من الأخطار الخارجية التي قد تهدد المنطقة، لكن فيما بعد أصبحت مكان للركون للذكر و العبادات و الانعزال، ومن هنا بدأت مرحلة الانتقال من الزهد إلى التصوف.[1]

ثانيا/–مراحله وتطوره:

لقد مر التصوف بمراحل تاريخية كانت حاسمة ومهمة يمكن أن نوجزها على الشكل الأتي :

أ– المرحلة الأولى:

وهي المرحلة التي ذكرناها سابقاً الواقعة بين القرنين الأول والثاني للهجرة، وهي مرحلة الزهد التي شهدت انتشار لتعاليم الدين الإسلامي، واتساع الرقعة الإسلامية، وما صاحب الفتوحات الإسلامية من انتشار للترف وإراقة للدماء أدت إلى اعتزال بعض من المسلمين الحياة والاتجاه نحو القرآن والسنة.[2]

[1]: التليلي العجلي، **المرجع السابق**،ص27.

[2]: عفاف مصباح بلق، **المرجع السابق**، ص ص198، 199.

ب- المرحلة الثانية:

وهي المرحلة الواقعة بين القرنين الثالث و والرابع للهجرة، حيث أصبح الزهد فيها حركة منظمة يطلق عليها التصوف، شهد تطورات من خلال الاهتمام بمواضيع جديدة كالسلوك و المقام و الأحوال، وقد انتشر نوعين من التصوف إحداهما سني و الأخر فلسفي، السني موارده من الكتاب والسنة، بعيد كل البعد عن الكرامات[1] الخارقة، أما الفلسفي فينطلق من الفناء، إلى مرحلة الاتحاد و الحلول، وكان للفلاسفة والمتكلمين و الفقهاء التأثير الكبير لهؤلاء المتصوفة، خاصة الفلاسفة إذ أخذوا منها الحظ الأوفر و كونوا فلسفة خاصة بهم لا تتماشى مع مبادئ الشريعة و السنة, نتج عنها من أطراف أهل السنة محاربة للتصوف الفلسفي، وقد استمر التصوف السني المعتدل الذي يمثله أبو حامد الغزالي في القرن الخامس للهجرة، حاول إرجاعه إلى مساره الصحيح و هو الإسلام السني المعتدل، وأعتبر الغزالي مثال للتصوف الإسلامي المعتدل المستند من القرآن الكريم و السنة النبوية. [2]

ت- المرحلة الثالثة:

كانت هذه المرحلة في القرن الخامس للهجرة تم فيها إرساء قواعد التصوف المعتدل من طرف الإمام الغزالي و عرف التصوف كمنهج روحي يتم من خلاله الوصول إلى المعرفة و تحقيق السعادة في الدارين، وتعتبر هذه المرحلة مرحلة لعلم الفقه بعد أن ابتعد عنها الكثيرون من أهل السنة و المتصوفة

[1] : **الكرامات**: أمر خارق للعادة، غير مقرون بدعوى النبوة، ولا هو مقدمة، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح، ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعته، مصحوب بصحيح الاعتقاد، والعمل الصالح، علم بها ذلك العبد الصالح أم لم يعلم. **ينظر**: سامي بن علي القليطي، الفرق بين المعجزات و غيرها من خوارق العادات، **مجلة الدراسات العربية**، دم، دع، كلية دار العلوم، جامعة ألمنيا، دس، ص3224.

[2]: عفاف مصباح، **المرجع السابق**، ص ص 198، 199.

و حمل على مذاهب الفلاسفة و المعتزلة و الباطنية و أصبح ذا قواعد معتدلة تتماشى مع أهل السنة و الجماعة و تخالف التصوف المذموم .[1]

ج/–المرحلة الرابعة:

لقد توسع نفوذ التصوف الإسلامي في هذه المرحلة، حيث شهد اقتداء وتأثير عظيم بشخصية الإمام الغزالي والقواعد التي أرساها في هذا العلم، وقد ظهر صوفية كبار أخذوا بنشر وتدريس هذا المنهج أمثال: «الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي توفي سنة1165م والإمام الرفاعي[2] الذي توفي سنة 1174م".[3]

د/–المرحلة الخامسة:

شهدت هذه المرحلة الواقعة في القرن السابع من الهجرة ظهور بعض الأئمة الذين ساروا على نفس النهج و الطريقة، مثال "أبو الحسن الشاذلي"[4] سنة 1258م وبعض ممن تتلمذوا عنده مثل"أبو العباس المرسي"سنة 1287م و ابن عطاء الإسكندري سنة1309م، تخرجوا من المدرسة الشاذلية للتصوف واتبعوا الإمام الغزالي السني، وفي هذه المرحلة شهد التصوف تطور كبير في المجال الروحي و الجغرافي حيث وصل امتداده إلى المنطقة الإفريقية جنوب الصحراء قادم من بلاد الأندلس إذ تعتبر

---

[1]: قارة فاطمة، **موقف الطرق الصوفية التونسية من الحماية الفرنسية(1881–1939م) الطريقة القادرية و التيجانية** (رسالة ماجستير، تاريخ الحديث و المعاصر)قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر(2)، الجزائر 2012/2011، ص9.

[2]: **الإمام الرفاعي**: مؤسس الطريقة الرفاعية أو البطحائية، ينتسب إلى جده رفاعة المغربي الحسني، ولد بقرية حسن سنة 512هـ، وتوفي بالبصرة سنة 578هـ. **ينظر**: عبد المنعم الحفني، **المرجع السابق**،ص178).

[3]: قارة فاطمة، **المرجع السابق**، ص09.

[4] : **أبو الحسن الشاذلي**: أصله من المغرب، هاجر إلى المشرق، اطلع على المذهب الصوفي واعتنقه.**ينظر**: عبد المنعم الحفني، **المرجع السابق**، ص229).

المرة الأولى التي يصل فيها التصوف إلى هذه المناطق، فعرفت انتشاراً واسعاً للزوايا الصوفية، خاصة بين القرنين التاسع للهجرة و الخامس عشر للميلاد ولم تكن فقط منهج أو طريقة يتبعها المتصوف لهدف ديني فقط بل كانت وسيلة من وسائل مقاومة الاستعمار، وقد لقيت زواياها إقبال واسع وأصبحت تلقب أرضها بأرض الأولياء الصالحين، وكانت السبب في نشر معالم التصوف في المناطق المجاورة من أفريقيا.[1]

ثالثاً/–نشأة الطرق الصوفية:

ارتبطت الطرق الصوفية في العالم الإسلامي بإنشاء ما عرف ب"الخوانق و الرباطات"[2]، ظهرت في القرن الثاني من الهجرة، فقد كثر بنائها في عهد صلاح الدين الأيوبي، ومنها نشأت جماعات صوفية تابعة لهذه المؤسسات التي مثلت مصدر الانطلاق، كانت هذه المؤسسات تخضع لشيخ واحد ينظم منهجها، اعتبرت مراكز للتربية الروحية، و انبثق عنها ظهور شخصيات صوفية أسست هذه الطرق، ويرجع ظهور هذه الطرق إلى التفاف الطلبة و المريدين حول شيوخهم و الالتزام بمناهجهم و طريقتهم، مثل «الطريقة القادرية" بقيادة الشيخ" عبد القادر الجيلاني[3]، وكذلك "الطريقة المدينية" بالمغرب الإسلامي ثم تفرعت و تعددت هذه الطرق وفق شخصيات شيوخها و أصدائهم

[1]: قارة فاطمة، **المرجع السابق**، ص09.

[2] : **الرباطات**:وتعني لدى الشرق الإسلامي البيوت التي يقيم بها الفقراء و يتفرغون للعبادة و التعليم، أما لدى المغرب الإسلامي فهي ثكنات عسكرية محصنة ذات صحن واحد وتحيط به غرف ويستخدم لمراقبة السواحل من الأخطار الخارجية.

[3]: **عبد القادر الجيلاني**: هو أبو محمد محيي الدين عبد القادر بن موسى بن عبد الله الجيلاني (561-471) صاحب الطريقة القادرية، نسبة إلى جيلان طربستان، تفقه على مذهب ابن حنبل، له في التصوف مصنفات عديدة. **ينظر**: عبد المنعم الحفني، **المرجع السابق**، ص113.

في الأوساط الشعبية، واتخذ كل شيخ طريقة و منهج معين لتلقين أوراده و توريثها لمشايخ أخرى حتى لا تندثر طريقته و يستمر نشاطها.[1]

إن نشأة الطرق الصوفية في العالم الإسلامي لم تأت بمحض الصدفة، بل ظهرت بعد وفاة الرسول ﷺوعرفوا هؤلاء بالزاهدين، إلا أن ظاهرة الأتباع و المريدين كانت غير موجودة إلا بعد زمن فقد تشكلت هذه الظاهرة، و انتشرت الزوايا و المساجد وشكلت نقلة نوعية في تاريخ التصوف ولفتت فكر و أنظار مفكري أهل السنة، حيث وقفوا عندها ورأوا أنه العلم النافع خصوصاً و أنها ذات جانبين مهمين هما " العلم و العمل"، ولعل أن ظاهرة الطوائف و الطرق نشأة منذ القرن الثالث للهجرة وفق أنظمة خاصة يجب الالتزام بها حسب كل طريقة، والأمثلة كثيرة، ولعل أبرزها و أولها هي الطريقة "السقطية" نسبة إلى السري السقطي[2]، و "النجدية" نسبة إلى الجنيد، و النورية نسبة إلى أبي الحسن النوري، وقد تواصل انتشار هذه الطرق إلى القرن الخامس للهجرة الذي نشأة فيه طرق لا تزال تمتد فروعها إلى يومنا هذا في البلاد الإسلامية، مثل الطريقة القادرية التي تنتسب إلى شيخها

"عبد القادر الجيلاني" ، والطريقة الرفاعية ، و الطريقة البرهامية، نسبة إلى إبراهيم الدقوسي والشاذلية نسبة إلى حسن الشاذلي، فقد تنوعت هذه الطرق باختلاف مسمياتها لكن الأهداف كانت واحدة ألا وهي عبادة الله عز وجل، وتربية و تكوين الأبناء تكوين روحي إسلامي خالي من الشوائب و الانحرافات، ولعل اختلاف الطرق الصوفية و تعددها رغم الهدف الواحد كما ترجحها الباحثة " رانية حمد" إلى النفع والفائدة على المريدين واختيار طرقهم دون صعوبة أو إجبار وفق

[1]: بوغديري كمال، **المرجع السابق**،ص198.

[2]: **السرى السقطي**: أبو سرى بن المغلس السقطي، ولد ومات ببغداد سنة 253هـ، كان تاجر ثم زهد في الدنيا، اشتهر بطيبه وطيب الغذاء ومجالسه العلمية. **ينظر**: عبد المنعم الحفني، **المرجع السابق**، ص203).

طبيعتهم ومبادئهم الإنسانية، وعموماً الطرق هي مدارس أخلاقية لتهذيب النفوس و ترويضها علمياً على المجاهدة و الطاعة و البلوغ بها إلى أقصى درجات المعرفة بغية الوصول إلى رضا الله سبحانه وتعالى.[1]

[1]: بو غديري كمال، **المرجع السابق**، ص198.

نستنتج مما سبق:

نستنتج مما سبق بأن التصوف الإسلامي وطرقه قد مر بمراحل حاسمة، كانت بمثابة المنعرج الذي أدى إلى تشكل معالمه داخل العالم الإسلامي، ورغم التضارب الذي لفت انتباهي من ناحية النشأة والتعريف بين العلماء والمؤرخين إلا أنه يعتبر طريق ديني شد انتباه الكثيرين، وقد تبنوه كسلاح روحي مضاد لكل ما هو مادي يشغل العبد عن التواصل الروحي وإتباع طريق الزاهدين في هذه الحياة و قد لعبت الطرق الصوفية دوراً مهماً في مقاومة الاستعمار في مختلف دول العالم الإسلامي، إلى حد أنها كونت ما يشبه بالأحزاب السياسية، وكونت دويلات وسط دولة، وخولت لنفسها جمع الضرائب من أتباعها، وقد ضمت البلاد التونسية طرق ذات أهمية كبيرة، مثل "القادرية و الرحمانية و التيجانية و السنوسية" وغيرها من الطرق، لعب شيوخها دور مهم في نفوس السكان، وهذا ما يبين لنا المكانة التي كانوا يتمتعون بها لدى النظام وأهميتهم داخل الدولة.

الفصل الثاني: الطرق الصوفية و الحماية الفرنسية على تونس

المبحث الأول: الطرق الأصلية

المبحث الثاني: الطرق الفرعية

المبحث الثالث: موارد الطرق الصوفية في تونس

المبحث الرابع: الحماية الفرنسية على تونس

المبحث الأول: الطرق الأصلية:

ونقصد بها تلك الطرق التي تولدت عنها طرق جديدة ولعل أهمها مايلي:[1]

أولا/–الطريقة القادرية:

تنتسب هذه الطريقة للشيخ سيدي عبد القادر دفين بغداد اخذ مبادئها ومنهجها على يد الشيخ أبو مدين، وتعتبر من أقدم الطرق الصوفية في تونس، لم تكن لها زاوية في تونس حتى ظهر الشيخ أبو الحسن علي ابن عمر الشايب في أول القرن الثاني عشر للهجرة، الذي تلقى مبادئ الطريقة في الحجاز على يد الشيخ محمد بن عبد الكريم السمان،[2] اظهر صلاحه عند عودته إلى تونس وشرع في بناء الزاوية لكن وافته المنية قبل أن يتمها، وهو متأثر بمرض الطاعون، فأتمها بعده الأمير حمودة باشا، وقد نصب تلميذه الأكبر محمد المعروف بالأمام المنزلي شيخاً لها، وأسس زاوية قادريه بتونس أطلق عليها اسم زاوية المنزل، وقد توفي شيخها الأمام المنزلي سنة1218هـ 1832م.[3]

كانت الطريقة القادرية ذات أهمية كبيرة في تونس لما لها من نشاط فعال خاصة في الجانب السياسي،كما انتشرت هذه الطريقة في تونس عن طريق الحجاج وطلاب العلم[4].

لم تلبث الطريقة القادرية في تونس حتى شهدت انتشاراً واسعاً في مختلف التراب التونسي، وأنشأت العديد من الزوايا التي تنشط باسمها، وعلى ما يبدو أن هذا الانتشار والرواج الذي لقيته الطريقة

---

[1]: **أنظر الملحق رقم01، ص91**.

[2]: **محمد بن عبد الكريم السمان**: هو الشيخ بن محمد بن عبد الكريم الشهير بالسمان القادري الصوفي، نزيل المدينة المنورة، توفي بها سنة 1189م له النفحات الإلهية في كيفية سلوك الطريق المحمدية و الوسيلة في دعوات الأذكار.**أنظر**: أيمن حمدي، **مرجع سابق** ص106.

[3]: محمد البهلي النيال، "**الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي**"، مكتبة النجاح، تونس، (1905م–1384هـ)، ص ص 121–122.

[4]: قارة فاطمة، **المرجع السابق**، ص27.

القادرية راجع إلى قدمها وعراقتها، فهي تعد من بينأقدم الطرق الصوفية في تونس، حتى وان جاء تأسيس الزاوية متأخراً بعض الشيء، وكانت من بين أهم الزوايا التي ضمتها الطريقة القادرية هي زاويتي الكاف ونفطه، فقد أنشأت زاوية نفطه سنة 1843م على يد إبراهيم بن احمد الكبير،لعب دوراً مهماً في مقاومة التواجد الفرنسي في الجزائر رفقة الإمام عبد القادر الجزائري، كما أسست زاوية الكاف على يد الشيخ محمد المزيوني الذي دخلها سنة 1834 م وتوفي بها سنة 1873 م، بلغ نفوذها اغلب التراب التونسي، وبسطت نفوذها على كامل الشمال الغربي من التراب التونسي فقد ضمت العديد من القبائل التي أصبحت تنشط تحت نفوذها مثل قبائل أولاد بوغانم، و أولاد مؤمن والزغالمة و أولاد ماجر، والفراشيش، وصولاً إلى سوق الأربعاء وطبرقة، وبنزرت في الشمال[1].

بالإضافة إلى ما ذكر من زوايا الطريقة القادرية فقد كانت زاوية الديوان بالحاضرة التي أسسها محمد المزيوني المغربي الذي توفي سنة(1296 هـ 1815 م)من بين أهم زوايا الطريقة القادرية وكان تأسيسها سنة(1262هـ 1815م)لتعتبر هذه الزوايا أهم زوايا الطريقة القادرية[2].

1/– **أسس الطريقة القادرية**:من بين اسس الطريقة:

*الالتزام بالكتاب والسنة.

* الجد و الكد ولزوم الجد حتى تنتقده.

[1]:قارة فاطمة، **المرجع السابق**، ص28,

[2]: محمد البهلي النيال، **المرجع السابق**، ص ص 321-322.

* الاجتماع والاستماع والأتباع حتى يحصل الانتفاع، والاعتقاد بشيخ الطريقة، وفي هذا السياق يقول الشيخ الجيلاني:"يا بني إياك أن تنظر إلى شيخك أنه معصوم إنما هو بشر يخطئ، ويصيب فإن رأيت مخالفة فأبحث له عن عذر شرعي فإن لم تجد له عذر فاستغفر الله له فإنه بشر يخطئ، ويصيب".

*كثرة ذكر الله تعالو محبة آل البيت وحب الشيخ و الأولياء الصالحين[1].

ثانياً/– الطريقة التيجانية:

تعتبر الطريقة التيجانية واحدة من بين أهم الطرق الصوفية السنية، حيث تنتسب إلى صاحبها ومؤسسها وشيخها احمد التيجاني المضوي الجزائري دفين مدينة فاس[2]،و تشير المصادر بأنه ولد بعين ماضي[3] سنة 1737م، من نسب شريف يعود إلى محمد الملقب بالنفس الزكية، أما أمه فهي عائشة بنت أبي عبد الله محمد السنوسي التيجاني نسبةإلى قبيلة بني توجين، التجأ إلى فاس بالمغرب الأقصى[4]تعلم على يد فقهائها مما منحه خبرة كبيرة مكنته من تأسيس طريقة جديدة خاصة به واستطاعت الطريقة التيجانية أن تتغلغل نحو أقصى الجنوب[5].

[1]: سكينة عاصمي، "الطريقة القادرية بالجريد التونسي من النشأة إلى الاضمحلال(1843/1954)"، **المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية**، م03، ع05، مخبر الدراسات و البحوث المتداخلة و المقارنة، تونس، جوان، 2017م، ص130.

[2]:لطيف رزقي، **الطريقة التيجانية في تونس التاريخية والأوقاف**، دار الأهرام، تونس، ط1، 1440هـ/2019، ص06.

[3]: **عين ماضي**:هي إحدى دوائر ولاية الأغواط، تقع جنوب جبل رداد ويرجحها الكثرين بأنها بقايا أثار رومانية تم ترميمها و إصلاحها. **ينظر**: بن يوسف التلمساني، المرجع السابق ص57.

[4]: التجأ سيدي أحمد التيجاني المضاوي الجزائري إلى المغرب الأقصى بسبب استيائه من جور الحكم العثماني فنزل بمدينة فاس بالضبط بقصر أبي سمغنون رفقة خليفته سيدي علي حرازم براده وأقام هناك مدة من الزمن.

[5]: قارة فاطمة، **المرجع السابق**، ص20.

ويقال انه حل في البلاد التونسية عند رحلته للحج سنة 1186هـ-1772م، أقام بها سنة كاملة متنقلاً بين سوسة و تونس العاصمة ثم عاد إلى موطنه[1]، وفي أثناء سفرته إلى المغرب الأقصى سنة 1803م-1804م اجتمع به الشيخ إبراهيم الرياحي[2] فتأثر به، وكان بذلك أول من تلقى الطريقة التيجانية بحضارة تونس، فأقام أورادها ووظائفها، ونشرها بين أوساط المجتمع التونسي[3].

لقد كان تأثير الطريقة التيجانية في البداية على الطبقة الحاكمة و المثقفين، توزعت زواياها على الأراضي التونسية فضمت العاصمة قرابة ست زوايا بينما ضمت كل من سوسة، وتزور و قابس ثلاث زوايا،[4] وتعد زاوية حوانيت عاشوراء أول زاوية في تونس[5].

مرت الطريقة التجانية بمرحلتين بارزتين، شهدت من خلالها انتشاراً واسع المدى، وقد جاءت المرحلة الأولى قبل الحماية الفرنسية التي طبقت على تونس سنه 1881م، وانتشرت الطريقة آنذاك في الشمال والشرق، وكان لزوايا الجزائر الأثر والفضل الكبير في بناء تلك الزوايا لما قدمته من معونة وتسهيلات لها، أما المرحلة الثانية فقد كانت في عهد الحماية، وقد انتشرت في الجنوب والغرب واستطاعت المحافظةعلى مبادئها وممتلكاتها حيث بلغ أتباعها سنه 1891م قرابة 40000و24زاوية[6]لكن شهدت تراجعاً محسوساً بعد فترة من الزمن، ولعل ابرز أسباب هذا التراجع

---

[1]:لطيف رزقي، **المرجع السابق**، ص10

[2]:**إبراهيم الرياحي**:هو الشيخ إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد الرياحي، ولد سنة 1180هـ-1767م ببلدة ناستور، حفظ القرأن الكريم إرتحل إلى تونس و إنضم إلى الطريقة الشاذلية ثم التيجانية، كان إماماً وخطيباً بجامع الزيتونة ، توفي في تاريخ 07أوت 1850م، ترك العديد من التراجم. **ينظر**: محمد اليعلاوي، حمادى الساحلي، **ديوان الشيخ إبراهيم الرياحي**، ص05.

[3]:التليلي العجيلي، **المرجع السابق**، ص ص 43-44.

[4]:قارة فاطمة، **المرجع السابق**، ص 21.

[5]:بن يوسف تلمساني، **المرجع السابق**، ص-ص107-109.

[6]:**أنظر الملحق02**، ص92.

هي علاقتها الودية مع الإدارة الفرنسية مما اثر على مصداقيتها في أوساط الشعب بالإضافة إلى التنافس الشديد والحرب العدائية التي كانت تشنها عليها الطريقة السنوسية، ورغم ذلك فقد كانت زاوية الطريقة"تماسين "لها ممتلكات عقاريه خاصة تمول بها الزوايا التيجانية عبر التراب التونسي[1].

1/-أسس الطريقة التيجانية:

تتمثل أسسها وقواعدها فيما يلي:

*عدم العزلة المفرطة وقطع الصلة بينه وبين الجميع خاصة الأسرة.

*اعتقاد عقائد أهل السنة والحديث النبوي الشريف والالتزام بمذاهبهم الفقهية و مداومة الالتزام بالورد[2]إلى الممات بعد أخذه عن قدوة في الطريق[3].

[1]:بن يوسف تلمساني، **المرجع السابق**، ص-ص107-109.

[2]: **الورد**:الورد بالكسر وجمعه أوراد، بطلقه الصوفية على أذكار يأمر الشيخ تلميذه بذكرها بعد صلاة الصبح والمغرب.**ينظر**:الشيخ يوسف خطار محمد، **الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية**، مكتبة دار الألباب، 1999، ص413.

[3]:أحمد دركوش، **موقف الطرق الصوفية من الاستعمار في الجزائر وتونس (1830-1914)، القادرية، التيجانية، نموذجا**،(مذكرة ماجستير) في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية، جامعة الجزائر2، الجزائر،(2011-2012)، ص39.

المبحث الثاني: الطرق الفرعية:

المقصود بها تلك الطرق التي تفرعت عن الطريقة الأصلية، ويمكن أن نعددها كما يلي:

أولاً: الطريقة الشاذلية:

لقد تفرعت عن الطريقة القادرية طرق كثيرة، وذلك تعتبر أقدم طريقة في البلاد التونسية، ولعل ابرز الطرق المتفرعة عنها هي الطريقة الشاذلية، فبعد أن حافظ أبو الحسن علي ابن عمار الشايب المنزلي الذي ادخل الطريقة القادرية إلى الايالة من المشرق على اسم الطريقة الأم حيث انشأ أول زاوية لها الأمام المنزلي، فقدأعطاه أبو الحسن الشاذلي اسمه ولم يؤثر ذلك على انتشار القادرية انتشاراً واسعاً فتولدت الطريقة الشاذلية عن الطريقة القادرية، و أصبحت تنعت بالأم الثانية باعتبارها ابرز الطرق الفرعية[1] ويعتبر مؤسس هذه الطريقة هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي، أصله من المغرب الأقصى كان مسقط رأسه بمدينه غماره بالقرب من سبته[2]سنه 593 ولم تبقى هذه الطريقة وحيده بل تفرعت عنها طرق كثيرة كانت من بين أهم طرقها مايلي:

1/-الطريقة الشابية:

يعتبر مؤسس هذه الطريقة هو احمد بن مخلوف الذي أسس الطريقة الناصرية وهي احد فروع الطريقة الشاذلية، تنسب إلى مدينه الشابة، وقد انتشرت هذه الطريقة في المدينة [3].

---

[1]:التليلي العجلي، **المرجع السابق**، ص45.

[2]: **سبتة**: هي بلدة مشهورة، من قواعد بلاد المغرب العربي وهي من بر البربر، تقابل جزيرة الأندلس وهي مدينة حصينة تشبه المهدية بإفريقيا,**ينظر**: الحموي، معجم البلدان، ص182.

[3]:Dépont octave et Coppolanixavier**",Les confréries religiewses musulmanes**," Jordan alger, 1897,p278

2/–الطريقة المدنية:

أسسها محمد حسن بن حمزة ظافر المدني وهو من مواليد المدينة المنورة سنة (1194هـ-1780م) نشأ وتربى وقرأ القرآن بالمدينة المنورة، تلقى العلوم العقلية والنقلية عن مجموعة من علمائها[1].

ارتبطت هذه الطريقة بالإمبراطورية العثمانية عكس كل الطرق، وقدأسست لها زاوية بصفاقس دعت لفكرة الجامعة الإسلامية، وأسست لها زوايا كثيرة وجراء للدور الفعال الذي لعبته هذه الطريقة في مواجهة القوى الأوروبية التي كانت أطماعها تصب نحو تركة الرجل المريض [2]حاولت هذه الأخيرة حصر وتقسيم دورها والتنقيص من قيمتها إعلامياً خاصة من طرف الفرنسيين[3] هذا مما أدى إلى ضعف أتباعها بالبلاد التونسية[4].

ثانياً: الطريقة الرحمانية:

استمدت هذه الطريقة اسمها من محمد بن عبد الرحمن القشتولي عبر تأسيس زاويةالكاف، وذلك عن طريق أحد أتباع محمد بن عبد الرحمن وهو سي مصطفى الطرابلسي، والذي عوضه بعد وفاته احمد بن علي بو حجر، حيث توارثت عائلته بوحجر الأشراف على الزاوية إلى الوصول إلى الشيخ سيدي علي بن عيسى الذي كان سنه 1881م من المناهضين للدخول الفرنسية لتونس وأحد الذين

---

[1]: أ،مفتاح رجب إبراهيم، "الطريقة المدنية نشأتها و ظهورها في ولاية طرابلس الغرب على يد مؤسسها محمد المدني الكبير(1824-1846)"، **المجلة العلمية لكلية التربية**، ج01، ع07، جامعة مصارتة، ليبيا، مارس2017، ص289.

[2]: هو لقب أطلق على الدولة العثمانية بعد خسارتها في منتصف القرن19م من الدول الأوروبية الكبرى التي قسمت أراضيها و نفوذها بينهم في مختلف القارات.

[3]:أحمد دركوش، **المرجع السابق**، ص32.

[4]:التليلي العجيلي، **المرجع السابق**، ص ص47-48.

تزعموا المقاومة هناك في الكاف وعلى الأرجح بأن الطريق دخلت مسربه من الجزائر،[1]وعلى ما يبدو فأنها قد دخلت عبر منفذين هما:

أ/–الكاف: وقد كان تأسيس زاوية الكاف مبكر وكما اشرنا لها سابقاً أسست سنة (1205-1206هـ)(1784-1785)م[2] لصاحبها الشيخ علي بن عيسى ، وكانت تتمتع بنفوذ روحي كبير وكانت لها حصانة معروفة في مثابة الحرم الأمن حتى حت للجناة الفارين من يد العدالة[3] .

ب/–نفطه: فبعد وقوع مدينة بسكرة الجزائرية في يد الاحتلال الفرنسي سنة (1264-1843)غادرها الشيخ مصطفى بن عزوز الذي كان يقيم بها واستقر بمدينة نفطه، اين أسس زاوية رحمانية هناك، ومن خلال هذا أصبح للطريقة الرحمانية وجود قوي بتونس والجزائر باعتبارهاأنها قد صدرت من خلالها فأصبحت تضم حوالي 67139مريد بنسبة 45,6٪ من عدد سكان المنطقة وقد تمثلت الزوايا في القطر التونسي على الشكل التالي:

1/–**زاوية سيدي الشيخ البشير:** وقد تأسست سنه 1242م، 1826م على يد شيخها أبو عبد الله محمد البشير الزواوي أصله من جبل زواوة هاجر إلى مدينة الزلاج بتونس وكان من بين احد تلاميذه أبو الضياف وابني الباي محمود باشا أكبرهم حسين باي الذي بني له زاوية معروفة باسمه.

2/–**زاوية سيدي عبد المالك (بسليانة):** وقد تأسست على يد الشيخ عبد المالك في بداية القرن التاسع عشر، وهو من قبيلة أولاد سيدي حمادة من أولاد عون.

---

[1]: أحمد دركوش، **المرجع السابق**، ص32.

2 : بن تيشة أحمد، **الصلات الروحية بين الطرق الصوفية في بلاد المغرب أثناء العهد العثماني**، (مذكرة ماجستيرفي تاريخ المغرب العربي الحديث و المعاصر)، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بالعباس(1436-1437هـ/2014-2015م)، ص ص89-90.

[3]: صلاح مؤيد العقبي، الزوايا و الطرق الصوفية بالجزائر تاريخها و نشاطها، دار البرق، باريس، 2002, ص576.

3/–**زاوية نفطه:** غطت كامل تراب الجنوب الغربي، مؤسسها الشيخ مصطفى بن عزوز.

4/–**زاوية الكاف:** تعتبر من بين أهم الزوايا في البلاد التونسية وقد أصبحت بمثابة الزاوية الأم للطريقة بالبلاد فيما بين(1821/1843م)وقد تعددت الزوايا عبر كامل التراب التونسي مثل زاوية توزر و تمغزة والزاوية العزوزية وزاوية سيدي احمد الزاير[1].

ثالثاً: الطريقة السنوسية:

تنتسب هذه الطريقةإلى الشيخ محمد بن علي السنوسي[2] شهدت انتشارا واسعا في العديد من البلدان خاصة تونس، وأنشأت زوايا كثيرة ومن ضمنها تلك الزاوية بالجريد التونسي وقد سميت زاويةالعرب، كانت الطريقة من اشد الطرق عدوانية ورفضاً للاستعمار الفرنسي حيث كانت تدعم المقاومة في الجنوب.

لقد تأثرت الطريقة السنوسية بالطريقة الشاذلية إلى جانب تأثرها بالطريقتين القادرية الناصرية ولكنها حافظت على شخصيتها المستقلة،كانت جل تركيزها على مبادئ السنة بين الأقوال والأفعال والأحوال والاشتغال بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في كل وقت وزمان، فكانت هذه

[1]:بن تيشة أحمد، **المرجع السابق، ص ص**89،90.

[2]:ولد مؤسسها محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسني الإدرسي في مستغانم، وهي مدينه تقع في القطر الجزائري، تعلم العلوم العادية في فاس وكان احد ابرز طلبة الشيخ عبد الوهاب التازي الذي لقنه علم التصوف ونشر علومه وآدابه الإسلامية عبر كامل تراب الجنوب الجزائري، وبعد أن تفرغ من مهمته هذه زار تونس وطرابلس وبرقه ومصر والحجاز و أقام في مكة بعد حجه وبنى زاوية في أبي قبيس ،وفي سنه 1255 عاد إلى برقة و أقام بها في الجبل الأخضر وبنى زاوية أطلق عليها الزاوية البيضاء ، ضاع صيته هناك وانتشرت طريقته انتشاراً واسعاً، توفي سنة 1855م/1272هـ، خالفه ابنه في مشيخة الزاوية السنوسية "محمد الهادي(1902م/1320هـ)(1844م1260هـ)" وقد حدثت بينه وبين الجيش الفرنسي حرباً بضواحي كانم وتشاد سنة 1319هـ. ومن بعد وفاته تولى احمد الشريف بن محمد الشريف بمعية عمه محمد إدريس السنوسي المولود سنه 1889م–1307.**ينظر**: محمد البهلي النيال، **المرجع السابق**، ص332.

الطريقة أكثر الطرق تمسكاً بالسنة وكانت تسعى إلى إقامة الصلة بين الفرد والرسول مباشرة عكس الطرق الأخرى كما ركزت على قراءة وتعليم الأوراد وتقسيمها بشكل منطقي يتماشى مع أتباع الطريقة حسب مكانتهم وعلمهم وقد كانت تقوم على ثلاث نقاط مهمة هي الأمامة، والهجرة، والجهاد حيث اهتمت بفكرة الجهاد لاعتبارها أهم الأسس التي تقوم عليها الطريقة، وقد انتشرت الطريقة السنوسية انتشاراً واسعاً وسريع تعددت زواياها في معظم تراب الشمال الأفريقي، فبعد أن كانت في العهد محمد بن علي السنوسي لها زاوية واحده في تونس فقد تضاعفت في عهد المهدي وبلغت عشر زوايا، وفي روايةأخرى لشكيب أرسلان يقول فيها بأن الزاوية في عهد المهدي قد بلغت ستة زوايا في تونس ولعبت دوراً مهماً في مقاومةأي نفوذ أجنبي يحاول الدخول إلى بلادهم[1].

رابعاً/– الطريقة العيساوية:

شهدت سنه 1646م انتشاراً واسعاً للطريقة العيساوية بالبلاد التونسية، وقد كانت بمنزل بوزلفة كماأنها انتشرت في مناطق عديدة داخل التراب التونسي مثل نابل، المنستير، تونس العاصمة و قلبيه وأسست لها زوايا عديدة في القطر التونسي وكان أبرزها تلك التي تتواجد في تونس العاصمة وتسمى بزاوية سيدي شيحة[2].

تأسست الطريقة على يد سيدي محمد عيسى وهو في طريقه إلى الحج، حيث كانت تحظى بجاذبية وشعبية واسعة بسبب الكرامات التي كانت تنسب لها، ويقول محمد البهلي النيال في وصفه للطريقة

[1]:عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، **أضواء على الطرق الصوفية في القارة الأفريقية**، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1990م، ص ص 28-101.

[2]: بن تيشة أحمد، **المرجع السابق**، ص93.

العيساوية بأن أصحابها يضربون أنفسهم بالمدى في حالة الغيبوبة ويأكلون الزجاج ويقبضون على الحديد المحمى ويزدرون الأفاعي، وتعتبر الطريقة العيساوية فرع من فروع الطريقة الرفاعية[1].

وتجدر الإشارة بأن الطريقة العيساوية قد دخلت بني خيار سنه 1696م1117هـ، وذلك حسب تقارير فرنسية، وقد بلغت شهرة واسعة في زمن محمد عليا(1365هـ/1944م)كانت تحكمها عائلة بوعجينة، وتجدر الإشارة بأن بن عليا قد تعلم قواعد الطريقة على يد أحد العيساويين فأصبح بعد ذلك ملماً بجميع جوانبها من المالوف الذي كان من أساسيات الحضرة العيساوية و أذكار الطريقة السلامية، وتخرج على يد شيوخ الطريقة العيساوية الذين حافظوا على معالم الطريقة ومناهجها وبالتالي نقلوها إلى الأجيال، وكان يقام في كل سنة مهرجان في منطقة بني خيار يسمى بمهرجان أمحمد علياء للعيساوية، وقد ضمت الطريقة العيساوية أتباعاً أكثرمن غيرها، عكس الطرق الأخرى وشملت جميع الوطن ب 7895 من الأتباع، حيث بلغت زواياها 15 زاوية وشيوخها ب 12 شيخا، أما العدد الإجمالي في البلاد التونسية فقد بلغ 416.[2]

خامساً: الطريقة السلامية:

تنسب إلى مؤسسها سيدي عبد السلام الأسمر وهو من مواليد فاس، ساح في البلاد الأفريقية وأسس له زاوية بطرابلس في ليبيا سنة 1537م وقد كان أصحاب هذه الطريقة يمسون المناجل المحمى

[1]: محمد البهلي النيال، **المرجع السابق**، ص336.

[2]: بن تيشة أحمد، **المرجع السابق**، ص96.

ويشعلون بقايا من الحلفاء يضعونها ملتهبة تحت ملابسهم ثم يخرجونها دون أن تحترق ثيابهم أو جلودهم[1].

[1]:د، محمد بن عبد الوهاب أحمد، **القبيلة و الزاوية في تونس** ، دراسة سوسيولوجية لفرقة العكارمة بقفصة، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية و الاقتصادية و السياسية،ط01، برلين، فيفري، 2021م، ص72.

المبحث الثالث:موارد الطرق الصوفية في تونس:

إن الازدهار الواسع الذي عرفته الطرق الصوفية والانتشار الواسع والسريع لها راجع لعدة عوامل أساسية، ولعلأهمها هي العوامل الاقتصادية، فقد تمتعت هذه الطريقة بموارد اقتصادية متنوعة، تحدد حسب قوه كل طريقه لما تملكه من وضعيه ماليه واجتماعيه لمواردها لها مصادر تمويل خاصة بها وتتمثل في مايلي:

1/–الممتلكات العقارية: تتمثل في الحبوس[1] والأوقاف العامة والخاصةوتكون خاصة بالزاوية أكثر من الطريقة وتتمثل في البساتين والأشجار المثمرة والأراضي الزراعية، والمباني العقارية والمدارس القرآنية لكن ألحقت هذه الحبوس إلى أملاك الدولة بمقتضى قرار أصدرتها الحكومة الفرنسية في سنة 07/12/1830م وقرار 13/10/1848م[2].

2/– الممتلكات المنقولة:

هي رؤوس الأموال لدى مشايخ الطرق التي تمنح لهم من طرف الزيارات والإعانات، فعندما تتم الزيارات يأتي الزائر إلى الزاوية محملاً بهدايا نقدية تمنح لمشايخ الزاوية، هذا مما مكن الطرق الصوفية من جمع أموال طائلة لتوسيع نفوذها، أما فيما يخص الإعانات فقد كانت على شكل مبالغ ماليه تدفع إلى بعض الزوايا من اجل احتضان بعض الطرق الصوفية وتوظيفها وترجع هذه الظاهرةإلى تاريخ الدولة الحسنية[3]، وللتميز بين قوة الطرق الصوفية لابد لنا من معرفة توزيعها الجغرافي وتنوع مواردها

[1] : وتعني الوقف بفتح الواو وسكون القاف ، مصدر وقف الشيء وأوقفو بمعنى حبسه وأحبسه . وتجمع على أوقاف ووقوف . وسمي وقفاً لما فيه من حبس المال على الجية المعينة. **ينظر**: ايمن محمد عمر، الوقف و دوره في التنمية الإقتصادية, ص04.

[2]: أحمد دركوش، **المرجع السابق**، ص49.

[3]:التليلي العجلي، **المرجع السابق**، ص ص59-60.

وطبيعة إتباعها وتعدادهم ،كلها جوانب مهمة ترفع من مستوى هذه الطرق، ولعل أكثرها شهره تلك الزاوية التي تتميز بموقع استراتيجي مهم بمقربة من الأراضي الزراعية المحبوسة، فحسب خصوبة ونوعية منتجاتها قد كانت الطريقة التيجانية احد ابرز الطرق المستفيدة من هذا الجانب، فقد كانت تتحكم في طريق القوافل العابرة للصحراء والقادمة من السودان، استطاعت من خلالها استقطاب التجار والأغنياء وحتى السلطة وكانت مصدر قوتها هو تطورها الاقتصادي، إلاأن السلطة الفرنسية تفطنت لهذا الجانب والدور الكبير الذي لعبته الطرق الصوفية من الناحيةالاقتصاديةورأت أنها تهدد وجودها داخل المستعمرة فراحت بشتى الوسائل والطرق من اجل إضعافها من خلال مصادره الحبوس ومنع الزيارات فأصبحت هذه الطرق عاجزة عن دفع الضرائب للسلطات مقابل ممارسه أنشطتها[1].

[1]:Rinn lous ,**Marabouts et Khouans** ,**Eru de surl'islamenALgéris** , Adolphe Jourdan ,libraire-éditeur, alger , 1884,p450 .

المبحث الرابع: البلاد التونسية قبيل الحماية الفرنسية:

قبل أن نتطرق إلى الأوضاع التي شهدتها تونس قبيل وأثناء الحماية[1] الفرنسية يجب علينا أن نضع نبذة بسيطة عنها وعن موقعها الجغرافي[2]:

1/-نبذة عن تونس وموقعها:

تقع البلاد التونسية في شمال القارةالأفريقية، تتميز بموقع جغرافي استراتيجي ذو خصائص طبيعية بارزة، وتعتبر ابعد منطقة نحو الشمال الأفريقي إذ لا تتجاوز المسافة بينها وبين جزيرة صقلية اقل من 140 كلم ويفصل بينها وبين جزيرة سردينيا اقل من 200 كلم وبسبب موقعها الاستراتيجي كانت محل للأطماع الأوروبية خاصة و أنهم سعوا إلى السيطرة على حوض البحر الأبيض المتوسط[3].

كان يقطن بتونس العديد من الحضارات [4]وقبل الحماية الفرنسية كانت الدولة التونسية خاضعة للحكم العثماني لكن مع سنه 1881م وقعت تحت ظل الحماية الفرنسية[5].

---

[1] : **الحماية**: هي دولة تضع بمقتضى معاهدة أو بمقتضى عمل فردي تحت كنف دولة أخرى لتقوم بحمايتها من الاعتداء عليها، وإعلان الحماية على منطقة معينة يجب أن يسنده وجود عسكري فعلي للدول الحامية في المحمية، وتعد الحماية شكلا من أشكال الاستعمار.**ينظر**:يحي محمد نبهان، **معجم مصطلحات التاريخ**، دار يافا للنشر و التوزيع، الأردن، 2008، ص124.

[2]: **أنظر الملحق03، ص 93**.

[3]:محمد الهادي الشريف، **تاريخ تونس من العصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، تر:محمد شاوش الشريف، محمد عجينة، تونس ط3، دار سراس، 1993م، ص08.

[4]: راغب السرجاني، **قصة تونس من البداية إلى الثورة 2011م**، دار أقلام للنشر و التوزيع، ط01، القاهرة، 2011م، ص ص(8-18).

[5]: شوقي عطاالله الجمل عبد الرزاق، **تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر**، دار الزهراء للنشر والتوزيع، الرياض، ط02، 1422هـ-2002م، ص277.

2/- تونس قبيل الحماية الفرنسية:

شهدت تونس منذ 1815 /1881م اضطرابات داخلية وخارجية واسعة أدت بها إلى الوقوع تحت ظل الحماية الفرنسية، ونظراً السيطرة التي كانت مطبقة على حدودها الغربية كانت أطماعها تمتد إلى تونس وذلك رغبة في توسيع نفوذها في شمال أفريقيا بعد سيطرتها على الجزائر سنه 1830م فأخذت هذه الأخيرة في التخطيط لكيفية تأسيس إمبراطورية لها في المغرب العربي وأصبحت الدولة تعاني من حالة ضعف بسبب التدخلات الأجنبية واستيطان أعداد كبيرة من الجالية الأوروبية واستحواذها على مرافق الدولة الاقتصادية والثقافية، فكانت تونس وجهتها لاحتواء أزمتها الداخلية والبحث عن أسواق تستحوذ من خلالها على خيرات الدولة وتحقق بها أطماعها الاستعمارية فشرعت هذه الأخيرة في إنشاء قواعد بحرية بغية التدخل في الشؤون الداخلية والبحث عن أسواق تستحوذ من خلالها على خيرات الدولة وتحقق بها أطمعها الاستعمارية و تسهيل التغلغل إلى الداخل حتى تتمكن من بسط نفوذها على كامل التراب التونسي[1].

لقد كانت الدول الأوروبية خاصة فرنسا وانجلترا في أمس الحاجةإلى إيجاد أسواق جديدة حتى تستثمر مخزونها المالي الفائض وصناعاتها الداخلية، خصوصاً وان الاقتصاد الرأسمالي في تلك الفترة بلغ ذروته القصوى مما أدى إلى توقف عمليه النمو في كل القطاعات الصناعية والتقليص من أنشطتها ولم تعد هذه الأخيرة قادرة على خلق مناصب شغل جديدة حيث لجأت إلى تجميد عدد كبير من الصناعات الحديدية وموارد الاستهلاك، وطردت كم هائل من العمال مما أدى إلى انفجار أزمة

[1]: جمعة عليوي فرحان الخفاجي، م د، وسام هادي عكار عظيم، "السياسة الفرنسية حيال تونس(1881_1914)"، **مجلة الأستاذ**، م ج 01، ع214، المديرية العامة للتربية، بغداد، 2015م-1432هـ، ص274.

اقتصاديه واجتماعيه كبيره في هذه البلدان ، كل هذا أدى بالبلدان الأوروبية المجاورة إلى غلق حدودها ووضع الحواجز التي تتجنب من خلالها اختلاط صناعتها بصناعات أخرى خاصة الصناعة الفرنسية و الإنجليزية، كل هذا أدى إلى ولادة أزمة اجتماعية داخلية تمثلت في انتشار للبطالة وانخفاض في الأجور، مما دفع فرنسا للبحث عن أسواق جديدة وذلك لتسويه وضعية هؤلاء البطالين فانتهجت هذه الأخيرة سياسة جديدة سميت بسياسة التوسع الاستعماري، حيث يقول أحد أصحاب هذه السياسة "جول فيري"[1]وذلك بتصريح له أمام مجلس النواب سنة 1885م حيث يقول فيه" إن تأسيس مستعمرة هو بمثابة خلق سوق "وأيضاً قال" إن السلم الاجتماعية في العصر الصناعي للبشرية هي مسألة أسواق"، وقال كذلك بشكل أوضح بأن طاقة الاستهلاك في أوروبا بلغت أقصى حد وهذا مما حتم عليهم خلق فئات جديدة من المستهلكين في مناطق أخرى من العالم حتى تجنب هذه الدول المجتمعة العصرية الانهيار وتخرجه من مصيبة جماعية محققه مطلع القرن العشرين جراء كارثة لا يستطيع احد تقدير عواقبها[2].

لم يكن هذا هو السبب لتطبيق الحماية الفرنسية على تونس خصوصاً وان المالية للبلاد كانت متدهورة، فلا يستطيع الفرد التونسي من اقتناء مواد الاستهلاك الأوروبية جراء الفقر المدقع الذي

[1]: جول فيري: ولد فيري في يوم 05أبريل 1832م في مدينة سان دابي، وتوفي بباريس في 17 مارس 1893م، شغل مناصب كثيرة ومن بين هذه المناصب سلك المحاماة ، دخل المجال السياسي وكان أول دخول لجيش الفرنسي إلى تونس عن طريق جيشه في 03أبريل 1881.**ينظر**:أ.د.دحو فغرور، "جول فيري مهندس الإمبراطورية الفرنسية"،**عصور جديدة**، ع01، 2011م/1432هـ، ص111.

[2]: علي محجوبي، **انتصاب الحماية الفرنسية بتونس**، سراس للتشر والتوزيع، تونس، 1986م، ص ص(26-29).

كانت تعيش فيه البلاد، فبعد مرحلة الكداس الذي عرفه الاقتصاد الرأسمالي[1] سنة(1873-1896م) أصبح في حاجة إلى تصدير رؤوس الأموال، وهذا مما دفع الأوروبيين إلى التفكير بصفة جديدة في إيجاد مناطق أخرى لاستثمار فائض الخزينة المالية[2].

إن الوضع الاقتصادي المتدهور في البلاد التونسية اثر على الحياة السياسية والاجتماعية مباشره، مما فتح مجال للدول الأوروبية للتغلغل داخل البلاد التونسية خاصة فرنسا وذلك من خلال توسيع نفوذها وزيادة امتيازاتها الاقتصادية وشراكتها وبنوكها، فقد تحصلت فرنسا على امتيازات واسعة في تونس ووجدت ضالتها داخل ربوعها، ولعل أن التنافس الأوروبي على المغرب العربي كان الصفة الأبرز حيث راحت هذه الأخيرة تفرض قوتها وهيمنتها الاقتصادية على هذه الدول الضعيفة و أصبحت الثروة التونسية منحصرة على الحبوب وزيت الزيتون، فقد منحت السلطة الحاكمة في البلاد الضوء الأخضر للدول الأوروبية في انجاز مشاريع الإصلاح، خاصة المجال العسكري والاقتصادي، وقد استغلت هذه الدول هذه الامتيازات ووزعت شركاتها الاقتصادية والرأسمالية داخل الايالة مما أرهق ميزانية الايالة وقد كان لفرنسا حصة الأسد منها[3].

لقد وقع بيان تونس معاهدات كثيرة منحت من خلالها الأحقية للسلطة الفرنسية في استغلال الامتيازات على حساب الدول الأوروبية الأخرى، وذلك بتوقيع معاهدتي 8 أوت 1830م و 12

---

[1]: **الرأسمالية:** هو نظام اجتماعي يسمح لكل فرد في المجتمع السعي وراء مصلحته الخاصة محاولاً الحصول على أبسط حاجة ولهذا فالرد حر في النظام الرأسمالي في نوع النشاط الذي يزاوله و حر في الاستثمار و الاستهلاك وأيضاً هو نظام اقتصادي يقوم على الملكية الخاصة لموارد الثورة أو يمتلك الأفراد وسائل الإنتاج فيه كالأرض و المشروعات الصناعية و التجارية و يكون الإنتاج فيه لمصلحة المالكين الأفراد. **ينظر**: يحي محمد نبهان، **المرجع السابق**، ص156.

[2]: علي محجوبي، **المرجع السابق**، ص29.

[3]: محمد مداح، محمد بليل،" رأس المال الفرنسي و امتيازاته في تونس قبل 1881م"، **مجلة عصور جديدة**، م ج 10، ع 04 ديسمبر، 1442هـ/2020م، ص ص333-332.

جويلية 1871م وفي تاريخ 24 أكتوبر 1832م وقع بين تونس معاهدة مع فرنسا منحت من خلالها أحقيتها في احتكار الصيد وتجارة المرجان في سواحل الايالة، ولم تقتصر على الاقتصاد بل حتى وصل التدخل في السياسة التونسية بسبب ضغط وتهديد طبقة القنصل الفرنسي "ليونروشLeonRoche" [1]على محمد باي قانون. وقدأصدر قانون عهد الأمان وذلك بتاريخ 9 سبتمبر 1857م كان يحتوي على ضمانات اقتصادية وتجارية وقضائية لفائدة الجالية الأوروبية بتونس ومنح الأحقية لفائدة البرجوازية الأوروبية على حساب التونسية، حتى أصبحت فرنسا تسيطر على الصادرات التونسية واقتصاد البلاد[2].

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد فحسب بل شهدت فرنسا تشجيع بريطاني ألماني غير مسبوق لاحتلال تونس وذلك منذ سنة 1878م في مؤتمر انعقد في برلين بتاريخ 13 جويلية 1878م يخدم مصالحهم المشتركة، [3]وفي تاريخ أواخر شباط 1881مأخذت فرنسا قرارها بالتدخل في تونس بعد أن مهدت جميع السبل وأصبح الطريق سالكاً لخططها ولم يبقى لها سوى العثور على حجة لتبرير التدخل المسلح في تونس وكانت من بين حججها بأن أبناء الجالية الفرنسية في تونس قد رفعت مذكرة إلى حكومتها في 14 مارس 1881م تشكو فيها الحكومة التونسية وتطالب بالتدخل لحماية حقوقهم وأموالهم وكرامتهم، وفي موقعة أخرى بتاريخ 30 مارس 1881م وقعت أزمة الحدود الجزائرية التونسية حيث وقعت اشتباكات بين القبائل على الحدود،وكانت حجتها أن هذه القبائل تتعرض

[1]:**ليون روش**: هو جنرال فرنسي، ولد بمدينة غزو نوبل بفرنسا في 27 سبتمبر 1809م، من أبوان فرنسيان، توفي بنفس المدينة في 26 جوان 1901م. **ينظر**:حيد عبد العزيز، الجوسسة الفرنسية في الجزائر في العصر الحديث و المعاصر الجاسوس ليون روش، **مجلة كان التاريخية**، السنة الثالثة، ع10، ص15.

[2]:محمد مداح، **المرجع السابق**، ص333.

[3]:علي محجوبي، **المرجع السابق**، ص35.

بشكل مستمر لهجومات القبائل التونسية و بالخصوص قبائل بني خمير، ولعل أن أخر حدث هو أغتيال مواطن من أولاد خمير في شهر فيفري 1881م صحبة فتاة من قبيلة ناهد الجزائرية كانت على موعد معه في مقاطعة قسنطينة وكان هذا الحدث كافيا لتدخل القوات الفرنسية في الايالة بدعوى الحفاظ على الامن خصوصا و أنها كانت تحدث بين القبيلتين منوشات دائمة، وقد تطور الوضع إلى أن وصل الأمر إلى مواجهة بين الجيوش الفرنسية و القبائل التونسية يومي 30و 31 مارس 1881م وقد استغل جول فيري هذا الوضع فبسط المسألة أمام البرلمان و طلب اعتمادات قيمتها خمسة ملايين فرنك لتنظيم حملة عسكرية لمعاقبة القبائل التونسية القاطنة على الحدود و ردعها، فصادق أعضاء البرلمان على ذلك في 07افريل 1881م بدون اعتراض، وبيدو أن تلك المنواشات[1] كانت أحسن وسيلة لفرنسا بأن تتخذها كذريعة للتدخل في الشؤون التونسية وصلاحيات الباي محمد الصادق1859- 1882م، وهذا مما أعطى الضوء الأخضر لفرنسا ووجدت الحجة المناسبة للتدخل في الشأن التونسي[2] خصوصا و أنها لا تعتبر الحادثة الأولى من نوعها لكن فرنسا استغلت هذه الحادثة [3]، وفيما يخص الجانب الإداري للبلاد فقد طبق حصار شديد على صاحب الإصلاحات خير الدين، [4]التي كان من خلالها يسعى إلى إنقاض البلاد التونسية من الفوضى السياسية

[1]:علي المحجوبي، المرجع السابق، ص40

[2]: أ م د، محمد عصفور سليمان، "الحماية الفرنسية على تونس عام 1881م والموقف العثماني و الأوروبي منها"، **مجلة ديالي**، ع56، 2012، ص443.

[3]:علي المحجوبي، **المرجع السابق**، ص40

[4]:**خير الدين باشا**: سياسي عسكري عثماني شهير واحد من أهم رواد الإصلاح في تونس بالقرن 19، كان وزير ثم رئيس للوزراء في تونس، حارب الفسادن وجاب بلدان عديدة، وكان وراء انشاء أول مجلس شورى منتخب ، جمع بين شخصية المفكر و الرجل السياسي و قد جمع لنا أفكاره الإصلاحية في كتابه أقوام المسالك في معرفة أحوال الممالك. **ينظر**:سمير أبو حمدان، **موسوعة عصر النهضة**، خير الدين التونسي، دار الكتاب العالي، بيروت، 1413/1993هـ، ص ص05، 06.

والاقتصادية، وذلك عن طريق مصطفى بن إسماعيل وثلة من أمثاله في تطبيق عرقلة مشاريع خير الدين وتوظيف المستثمرين الأوروبيين، مما دفع خير الدين إلى مغادرة تونس سنه 1877م.[1]

كلها أحداث كانت ممهدة للتدخل الفرنسي في الشؤون التونسية و إلحاقها إلى مستعمراتها في إفريقيا بعد الجزائر، وعليه في 28 من نيسان 1881م عبرت القوات الفرنسية الحدود الجزائرية التونسية بقيادة الجنرال "جون إيمي بريارJulesAimeBreart" بتعداد بلغ 1000 جندي، بداية من مدينتي الكاف وطبرقة، ثم نزلت قواتها البحرية في ميناء بنزرت بشمال تونس ثم العاصمة وصولاً للتوغل الفرنسي داخل الأراضي التونسية لكنه لم يستطع، وقدم محمد الصادق احتجاجا لدى الدول الموقعة على معاهدة برلين الذي طالب بالتدخل لوقف الاحتلال الفرنسي وفي 12 ماي 1881م وقعت "معاهده باردوPardo" [2]من طرف الباي وقد احتوت على 10 شروط، كان أهمها التواجد المؤقت للقوات الفرنسية وتركيزها على السواحل والمناطق الحدودية ورحيلها عندما تسترجع الأيالة قوتها، كما أنها نصت على حماية الباي وأسرته مقابل عدم عقد أي معاهده مع الدول الأجنبية إلا بموافقة فرنسا لكن فرنسا خرجت عن هذا الإطار واعتدت على السيادة التونسية داخلياً وخارجياً وبهذا طبقت الحماية على تونس [3]وأجبرت على توقيع معاهدةأخرى وهي معاهده "المرسى الكبير" بتاريخ 8 يوليو 1883م كانت من بين أهدافها هي فرض الاحتلال على الأراضي التونسية[4].

---

[1]: قارة فاطمة، **المرجع السابق**، ص34.

[2]: **أنظر الملحق04، ص94**.

[3]: جمعة فرحان عليوي، **المرجع السايق**، ص256.

[4]: محمد علي داهش، **المرجع السابق**، ص30.

3/-البلاد التونسية أثناء الحماية الفرنسية:

بدأت فرنسا بعد تطبيق الحماية في التدخل في الشؤون الداخلية والخارجية للبلاد التونسية ووقفت الدولة العثمانة مكتوفة الأيادي في ردع التدخلات الفرنسية واكتفت بحماية حدودها ونفوذها في باقي أنحاء المغرب العربي، وأخذت فرنسا تتدخل وتتحكم في كافة المجالات مخالفة بذلك بنود معاهدتي "باردوا"[1]"والمرسى الكبير"[2]، واستولت السلطة الفرنسية على إدارة الدولة وأصبحت تشرف على الوزارات بها وأصبح المقيم العام الفرنسي صاحب نفوذ حقيقي بعد أن أصبحت جميع الإدارات خاضعة تحت سلطته وسلطة مساعديه من العسكريين والمدنيين والموظفين وسلبت من يد الباي حتى إن القوانين لا يتم إمضاءها والموافقة عليها إلا بعد أن تمضى من طرف المقيم العام، كان يتم اختيار الموظفين والإداريين من المستوطنين الفرنسيين والمتعاونين من أبناء البلاد، فقد قسمت السلطة الاستعمارية البلاد إلى 19 وحدة إدارية وكل وحدة يحكمها مراقب فرنسي وبقيت المناصب المحلية للتونسيين، كما أنها قد وضعت هيئات مراقبة الأعمال الوزراء والموظفين التونسيين[3].

ألغت فرنسا العديد من القوانين والأنظمة الدستورية التي كانت سائدة في البلاد قبل فتره الاحتلال وأصدرت القوانين الحريات العامة وسيطرة على مالية البلاد التونسية دون إرهاق ميزانيه حكومتها كما

---

[1]: **معاهدة باردو**: وقعت بتاريخ 12 ماي 1881م، على أن تحتل القوات الفرنسية المراكز التي تراها صالحة لاستتباب النظام و الأمن بالحدود و السواحل، و يزول هذا الاحتلال عندما تقرر السلطات الفرنسية و التونسية أن الادارة المحلية قادرة على المحافظة على الأمن. ينظر: شوقي عطاالله الجمل ،**المرجع السابق**، ص277.

[2]:**معاهدة المرسى**: وقعت بتاريخ يونيو1883م على يد الباي الدي خلف محمد الصادق بعد وفاته في أكتوبر 1887م وقد منحت لفرنسا السلطة الكاملة في تونس. **ينظر**:شوقي عطاالله الجما، المرجع نفسه، ص277.

[3]:محمد علي داهش، **المرجع السابق**، ص ص31-32.

أنهـــا قـــد قضـــت علـــى المحـــاكم الوطنيـــة واســـتبدلتها بمحـــاكم فرنســـيه بموجـــب مراسيم(1898،1885،1883م) منحتها أحقية التحكم بالقضايا السياسية للمحليين والأجانب[1].

أما بالنسبة للأوضاع السياسية والاقتصادية والمالية، فقط شملت جميع فروع الإنتاج من الزراعة والصناعة والتجارة، وأول ما نتطرق له هو الحالة الزراعية للبلاد إبان فترة الحماية الفرنسية.

لقد أصدرت فرنسا تشريعات كثيرة ومختلفة وكانت تسعى من خلالها إلى نزع الأراضي الزراعية من السكان المحليين ومنحتهاإلى المستوطنين، حيث لقيت دعم كبير من أصحاب رؤوس الأموال مساندين من طرف رجال الإدارة الذين بيدهم توجيه السياسة المالية في البلاد فأخذت فرنسا تسن القوانين الجائرة واتبعت سياسة السلب والنهب باسم القانون[2].

بعد أن قام المصلح الكبير الوزير خير الدين برنامجه الإصلاحي الذي مس القطاع الزراعي ومنح لكل فلاح قطعه مساحتها 20 هكتارا جاءت فرنسا وانتزعت ملكيه هذه الأراضي من يد الفلاحين التونسيين لصالح المعمرين الفرنسيين واستغلت أراضي البور[3] تحت حجه حرية الملك الفردية، أما بالنسبة إلى أراضي الغابات فقدكان يتواجد بتونس غابات وأحراش شاسعة ترتكز في المنطقة الشمالية وتبلغ مساحتها مليون و16,000 هكتار، استولت عليها فرنسا بإصدارها قوانين تدخلها ضمن أملاك الدولة الخاصة و اتخذتها كحجه حقيقية تغتصب من خلالها أراضي السكان المجاورة للغابات، مما احدث نزاعات بين السلطة الفرنسية والأهالي و أقصى الكثيرين من أراضيهم وسلطت عليهم غرامات ماليه فادحه، ففي سنة 1938م أجبرت سلطة الحماية الفلاحين على الاعتراف

[1]: محمد علي داهش، المرجع السابق، ص32.

[2]: الحبيب تامر، **هذه تونس**، مكتبة الرسالة،د د ن، د ط، د س، ص41.

[3]: **أراضي البور**: هي تلك الأراضي المزروعة التي لم تبذر لموسم نمو واحد أو أكثر لفترة لا تتخطى الخمس سنوات.

بملكيتها للأراضي مقابل بقائهم في زراعتها ومقابل دفع إيجار السنوي من طرف الفلاح فأصبح المالك مستأجر والغاصب مالك، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد فحسب بل حتى مس أراضي القبائل، فقد ألحقتها كذلك بأملاك الدولة بقانون اصدر فيه 14 يناير 1901م وأيدت المحكمة المختلطة هذا بتاريخ 23 فبراير سنه 1904م ولقد مست كذلك الأطماع الفرنسية أوقاف المسلمين فقد قدرت مساحه الأوقاف العامة والخاصة ما لا يقل عن 4 ملايين من الهكتارات، استولت عليها الإدارة الفرنسية واغتصبت أخصب أراضيها[1].

أما في الميدان المالي فقد سلبت السلطة من يد الباي وأصبحت فرنسا هي من تتصرف بالمالية التونسية وعلى البائع أن يأخذ الموافقة من الحكومة الفرنسية، إذا أرادأن يبرم أي قرض وأصبحت ميزانية الايالة تعرض على المقيم العام الفرنسي بمقتضى قانون مؤرخ في 12 مارس 1883م.[2]

أما الوضع الثقافي فقد شهدت تونس انتشاراً واسعاً للمؤسسات التعليمية الأهلية خاصة بعد الإصلاحات التي قام بها المصلح الكبير خير الدين باشا قبل الحماية الفرنسية، فقد احتوت البلاد على عدد هائل من الكتاتيب والابتدائيات للتعليم القرآني والكتابة، وكان جامع الزيتونة هو احد أهم مدارس الفقه والعلوم العربية الذي يتردد له الطلبة بشكل عام، لكن بعد وضع الحماية أصبحت جميع هذه المدارس سواءً الخصوصيةأو العمومية تخضع لإشراف الدولة،استغلتها فرنسا لنشر ثقافتها ولغتها واستغلال النخب الوسيطة في إنجاح مشروعها الاستعماري، ففرضت تعليم اللغة الفرنسية

[1]: د، الحبيب تامر، **المرجع السابق**، ص36

[2]:أحمد القصاب، **تاريخ تونس المعاصر (1881/1956م)**، الشركة التونسية للتوزيع، ط01،تونس، 1986، ص23.

في جميع المؤسسات، وكل هذا أدى إلى ظهور مؤسسات ابتدائية مزدوجة أطلق عليها اسم المدارس العربية الفرنسية لأعداد أعوان موظفين متشبعين بالثقافة الفرنسية ومطلعين على اللغة العربية[1].

كان التعليم ينحصر على الفرنسيين والأجانب وضل محدوداً لدى التونسيين، فقد ارتكزت المؤسسات التعليم في المراكز ذات الكثافة السكانية الأوروبية مقارنة بالمناطق الأخرى فقط، وكانت السلطة الفرنسية تحد من التعليم الأهالي خوفاً من حصولهم على الوظائف العمومية المرموقة لذلك كان اغلب الطلبة التونسيين يواصلون دراستهم الثانوية بالمدارس الثانوية في المدرسةالصادقية، التي كانت تعد التلاميذ إلى المدرسة العلوية التي كان يتخرج منها المعلمون أو معهد كارانو الفرنسي الذي يهيئ خريجيه لمواصلة التعليم العالي، أما التعليم الزيتوني فقد كان يستقطب عددا كبيرا من التلاميذ الذين لم يتمكنوا من الالتحاق بالمدارس العصرية، إلا أن شهادته غير معترف بها لممارسة المهن بالقطاع الرأسمالي إلا في حالات نادرة، وقد كانت هذه المؤسسات التونسية مهمشة على عكس القطاعات الفرنسية وذلك بسبب السياسة المالية الاستعمارية التي أخذتها السلطة الفرنسية[2].

[1]: قارة فاطمة، **المرجع السابق**، ص 44.

[2] :المرجع نفسه، ص ص45-46.

نستنتج مما سبق:

إن الطرق الصوفية في تونس انقسمت إلى نوعين طرق أصلية و أخرى فرعية فالثانية كانت امتداد أو منبثقة من الطرق الأصلية مثل الطريقتين القادرية و التيجانية، فقد كانت هذين الطريقتين من بين أهم الطرق الصوفية في تونس، حيث أنشأة لها زوايا في مختلف ربوع الوطن و لقيت انتشاراً واسعاً في تلك الفترة، كانت مواردها تتمثل في الممتلكات العقارية و المملوكات المنقولة، وكانت تمثل جانبها القوي، إلا أن السلطة الفرنسية تفطنت لهذا الجانب الذي تلعبه هذه الطرق خاصة من الناحية الاقتصادية فحاولت تثبيطها بشتى الوسائل.

شهدت تونس قبل الحماية الفرنسية اضطرابات داخلية و خارجية واسعة أدت بها إلى الوقوع تحت ضل الحماية الفرنسية سنة 1881م، خصوصاً وأن حدودها كانت تطبق عليها سيطرة كبيرة بسبب الاحتلال المطبق على الجزائر بعد أن احتلتها سنة 1830م، واجتمعت الأسباب و الحجج سواءً في تونس أو خارجها هذا مما أدى إلى توقيع معاهدة الحماية في 12 ماي 1881م، التي لحقتها معاهدة المرسى 1883م، فأصبحت تونس بموجبها تحت ضل الحماية مسلوبة المصالح و الشؤون مسلمة لقناصل فرنسا.

الفصل الثالث: دور الطرق الصوفية في مقاومة التواجد الفرنسي في تونس و موقفها من المقاومات الشعبية و الحركة الوطنية

المبحث الأول:السياسة الفرنسية اتجاه الطرق الصوفية.

المبحث الثاني: موقف الطرق الصوفية من الحماية الفرنسية على تونس

المبحث الثالث: موقف الطرق الصوفية من المقاومات الشعبية

المبحث الرابع: موقف الطرق الصوفية من الحركة الوطنية

المبحث الأول: السياسة الفرنسية اتجاه الطرق الصوفية

تنوعت الأساليب التي اتخذتها السلطة الفرنسية ضد الطرق الصوفية بين أساليب إغرائية وأخرى إجبارية، وطبقت سياسة الاحتواء الاستعماري الذي كانت تسعى من خلاله إلى الحصول على رضا وصداقة هذه الطرق، ومحاولة تشتيت ومقاومة الوعي الوطني الذي تسعى إلى نشره عن طريق توظيف هذه المؤسسات التي تهدد مصالحها وتواجدها الاستعماري في تونس، حيث لقيت سياستها هذه نجاحا كبيرا في بدايتها وذلك بتحويل شيوخ الزوايا إلى هيئة موظفين لدى الإدارة الاستعمارية، إلا أنها عجزت في المرحلة الثانية وذلك لأسباب متعددة[1].

1/-القيام بالدراسات الميدانية للطرق الصوفية:

كانت الرحلة الاستكشافية التي قام بها الطبيب الفرنسي "جان اندريه بيسو نال"[2]إلى شمال إفريقيا سنة 1724م التي جاب من خلالها أقطار بلاد المغرب العربي، هي أحد أهم الرحلات الاستكشافية التي كان يرسل من خلالها الى باريس وصفا دقيقا لكل ما يخص المدارس الدينية في تلك المناطق

وفي مطلع القرن التاسع عشر كتب "بروسباي فيزان زاكون" تقريرا عن تونس يجمع فيه كل الخصائص التي تحتويها البلاد، وكان من بينها التيارات الدينية مما يوضح الهدف الحقيقي من وجود البعثات الاستكشافية في المناطق التي تتعرض للاستعمار في مختلف دول العالم، كما انه أشار في تقريره

[1]: قارة فاطمة، **المرجع السابق**، ص48.

[2]:**جان أندريه بيسو نال**:هو من بين أحد الرحالة المستكشفين، زاول دراسته الأولى في مارسيليا ثم أكملها في باريس وعمل مراسل لأكاديمية العلوم ولقد عمل طبيباً في مارسيليا قبل أن يبعث إلى شمال إفريقيا بهدف دراسة التاريخ الطبيعي لإيالة الجزائر و تونس.**ينظر**: أحميدة عميراوي، **الجزائر في أدبيات الرحلة و الاسرى خلال العهد العثماني**، مذكرات تيديا نموذجا، ط1، دار الهدى، عين ميلة، الجزائر، 2009م، ص10.

إلى مختلف الطرق الصوفية البارزة والأكثر شهرة وانتشار في العائلة الحسنية حينها كان ينتمي إلى الطريقة التيجانية،[1] و كانت الرحلات الاستكشافية التي قام بها كل من "ديبون"و "كابولاني"[2] ورين "لا تقل أهمية عن سابقتها، إن لم نقل أنها الرحلات الأبرز التي فتشت في جذور الطرق الصوفية وجمعت بين ما هو فكري وديني وما هو اجتماعي وسياسي، ومن خلال هذه الرحلات استطاعت السلطة الاستعمارية كشف ومعرفة ابرز الجوانب المهمة للواقع الطرقي بالأيالة، ودرست التركيبة الداخلية والرابطة الروحية بين مشايخ الطرق والسكان والعلاقة الوطيدة التي تميز الطرق ببعضها البعض وعلاقتها بالشعب، مما أدى بالسلطة الاستعماريةإلى رسم خطط مدروسة ومحكمة للإطاحة بهذه الطرق وتقديم دورها داخل المجتمع[3].

2/-توظيف مشايخ الطرق الصوفية:

منحت السلطة الاستعمارية لمشايخ الطرق الصوفية في البلاد التونسية امتيازات كبيرة، خدمة لمصالحها ، فأخذت توظفهم في مناصب عديدة خصوصا وأنلهم مكانة بين الأتباع بتأثيرهم الروحي حيث أعفت الكثير من الخدمة العسكرية بقانون أرخ في 24 جانفي 1893م وفي 20 جويلية 1896م كما أنها أعفت بعض من مشايخ الطرق الصوفية من بعض الأداءات الدولية وإعانة بعض الزوايا بمبالغ مالية مثل ما فعلت مع سيدي قدور شيخ الزاوية القادرية زاوية الكاف والذي منحته

[1]: لطيف رزقي، **المرجع السابق**، ص-ص47-49

[2]:**كزافي كبولاني**: ولد في 01نوفمبر 1860م في قرية ماريانا وهو الابن الأصغر لعائلته، التحقت عائلته للعيش بالجزائر بحثاً عن فرص العمل، واستقر بإقليم من أقاليم قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري التي تلقى فيها تعليمه، أجاد اللغة العربية ووظف في الحكومة الفرنسية بالجزائر، قتل من طرف الموريتانيين سنة 1905م.**ينظر**: صابر نور الدين، "كزافي كبولاني و التوسع الفرنسي في المغرب العربي 1866-1905م"، **مجلة الحكمة للدراسات التاريخية**،م ج05، ع19، ديسمبر2017، ص115 وما بعدها.

[3]: لطيف رزقي، **المرجع السابق**، ص ص04،03.

حوالة بريدية قدرت ب 800فرنك و الثانية قدرت ب 500فرنك على وجه إعانة للزاوية[1]، و مثل ما فعلت مع الزاوية التيجانية بتماسين بالجزائر[2]، خصوصا وأنها تعتبر طريقة مستقلة لا تخضع بأي شكل من الأشكال للطرق الأخرى، وان مركزها ومنبعها الأصلي في الجزائر أي في مستعمرتها، لذلك سيكون من السهل التحكم بها وضمان ولاء أتباعها لفرنسا[3]، كما أنها منحت بعض التسهيلات في التستر على بعض مشايخ الطرق قضائياً، مثل قضية الحنفاوي وابن عبد الحفيظ المنتمي إلى الطريقة الرحمانية مع محمد الكبير شيخ القادرية بقضية تهريبه ومسكه للسلاح، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد فحسب بل أخذت تسدد ديونهم وتمنحهم مبالغ مالية و لزواياهم وكان الهدف منها هو احتوائهم واستدراجهم في خطة منها لوقوفها إلى جانبها وتحقيق أهدافها إذا اقتضت الأوضاع الاستعمارية لذلك[4].

وظفت السلطات الفرنسية مشايخ الطرق الصوفية خاصة لمصالحها مستغلة بذلك نفوذهم على السكان، فمثلاً قامت بتوظيف مقدم التيجانية سعد بن الحاج ناصر في مهمةأثناء حوادث الجنوب فيما بين 1915/ 1916م مجتمعاً بأتباع الطريقة القادرية يحثهم فيها إلى الوقوف إلى جانب فرنسا كما كلفت العديد من المشايخ في بمهام مثل ما كلفت به محمد بالطيب بن إبراهيم شيخ القادرية بورقلة بقضية

[1]:**أنظر الملحق رقم 05، ص95**.

[2]: التليلي العجيلي، **المرجع السابق**، ص94.

[3]: لطيف مرزقي، **المرجع السابق**، ص ص 51،52.

[4]: العجيلي التليلي، **المرجع السابق**، ص ص94،95.

المركيز ديموريس[1] الذي خرج في مهمة استكشافية للصحراء لصالح الاستعمار الفرنسي، لكنه قتل من طرف الطوارق فتوجه محمد الطيب إلى الجنوب سنة1898م بدعوى تفقد الزوايا القادرية هناك، وقبض على ثلاثة من القتلة واستمالهم وصولا بهم إلى ضابط المركز الفرنسي وتحويلهم إلى المحكمة الجنائية بسوسة، إلا أن هذه الحادثة أدت به إلى اغتياله فيما بعد في سنة 1901م لأنهم وقفوا في وجه مخططاتهم الاستطلاعية الاستعمارية، وبفضل خطة التوظيف لمشايخ الطرق الصوفية حققت فرنسا أهدافاً كبيرة بأقل التكاليف وفي وقت قصير جدامقابل توفير الحماية لهم، وأصبح بعض مشايخ الطرق يتنافسون في إظهار الولاء لها والتفاني في خدمتها، كل هذا افقد هؤلاء المشايخ هيبتهم ونفوذهم بين الأتباع إلى أن ضعفت بعض الطرق الصوفية ونجحت فرنسا في تحقيق مخططاتها[2].

3/-منع استلام الزيارات:

تعتبر الزيارات من بين أهم المداخيل للطرق الصوفية التونسية، التي تجمع من خلالها أموالاً طائلة تساهم في تقوية اقتصادها ومن جانب أخر تساهم في تقوية علاقتها مع المجتمع الخارجي، خصوصاً أولئك الذين يقدسون الجانب الروحي ويعلنون ولائهم لهذه الطرق الصوفية ويعتبرونها أداة وصل بينهم وبين الإله، فمثلا قد بلغت العطايا النقدية من الزيارات للطريقة القادرية سنة 1925م حوالي 120000 فرنك بتونس وبلغت عطاءات الطريقة التيجانية 24000 فرنك، مما يوضح القوى المالية

[1]: **المركيز ديمو ريس**: انطوان فالمبروز الملقب بالمركيز ديمو ريس، ولد يوم 15 جوان 1885م، التحق بأحد نوادي باب الوادي ...**للمزيد ينظر**: التليلي العجيلي، **المرجع السابق**،ص97.

[2]: **المرجع نفسه**، ص ص96إلى99.

التي كانت تكتسبها الطرق من الزيارات حتى أنها أصبحت تفوق قيمة مداخيل الأملاك الأخرى في البلاد[1].

أصبحت الزيارات تمثل أهم مقومات الطرق الأساسية لما لها من تأثير كبير على قوة تواجدها وازدهارها الاقتصادية، وبما أن السلطة الفرنسية كانت تستهدف نقاط قوة الطرق الصوفية من اجل أضعافها وتوسيع نفوذ خاص بها على حسابها، أصدرت أمراً حكوميا بتاريخ 20 جوان1911م ينص على منع الزيارات بحجة التجمعات بدون استئذان والإخلال بالراحة، قال فيه الوزير الكبير يوسف جعيط موجهاً فيه رسالة إلى العمال:" **فقد بلغنا أن بعض مشايخ الطرق بالزوايا بتراب المملكة يعلنون أحياناً بأسواق عملهم بوقوع زيارة بزواياهم سعياً في اجتماع الأهالي هناك من دون استئذان، ولما كان مثل هذا من شأنه أن ينشأ عنه أموراً تخل بالراحة، فقد صدر الأذن لكم بالتعرض لمنع وقوع مثل هذه الإعلانات إلا إذا وقعت المصادقة عليه من طرف المراقبة المدنية أو رئيس إدارة الأمور الأهلية بجهتكم ليمكنكم من اتخاذ ما يلزم من الاحتياطات في هذا الغرض والتنبيه على مشايخ الزوايا حتى لا يقع ما يخالف ذلك بالمستقبل**[2]."

ورغم منع الزيارات بقيت بعض مشايخ الطرق يجمعون عائداتها بطرق سرية وخاصة. أدت بالسلطة الفرنسية إلى فرض عقوبات ومصادرة الأموال، كانت في البداية عبارة عن تحجير للإعلان عن زيارات كما أشرنا سابقاً وأصبحت فيما بعد منعاً للزيارات، وذلك ابتداءً من سنة 1913م التي أدت إلى انهيار اقتصاد الطرق الصوفية وحدوث تصادم بين مشايخها والسلطة الفرنسية، فطلبت

[1]: قارة فاطمة، **المرجع السابق**، ص52.

[2]:نفسه، ص52.

بإرجاع حقوقهم وأموالهم المسلوبة لكن هذه الأخيرة رفضت التراجع عن قرارها وأخذت تراقب تنقلات بعض مشايخ الطرق وتحد من مواردها خاصة بعد السياسة التي اتخذتها مع الأحباس بمختلف أنواعها سواءً كانت عامة أو خاصة باعتبارها أهم الموارد بعد الزيارات[1].

4/-ضرب الأحباس:

سعت السلطة الفرنسية إلى العمل على إضعاف مداخيل الطرق ومشايخها من خلال سلب ممتلكاتهم العقارية ومنحها للمعمرين الفرنسيين، خصوصا وأن الطرق كانت تزخر بكم هائل من عائدات الممتلكات العقارية التي قدرت بأكثر من21,759,900 فرانك سنة 1925م وتقسم مبالغه بين الزوايا والمشايخ، يقدر دخلها السنوي في الأيالة بين الممتلكات العقارية أكثر من 650.526فرنك، مما جعل السلطة الفرنسية تتعرض إلى نوعية من الاحباس وهي الاحباس العامة[2]والخاصة[3]، فبالنسبة للأحباس العامة سعت فرنسا للاستحواذ على أكبر عدد ممكن منها فأصدرت قانوناً في 18 أوت 1885م بأمر الإنزال[4]، وهو نوع من أنواع الإجارة الأبدية، التي تمكن صاحبها من التمتع بالملكية، والقيام بكل ما يريد فوق الوقف. فكان يقع من طرف القاضي المكلف بإصدار الأمر بالمزاد العلني، وأصبح فيما بعد المستأجر هو المالك والمالك الأصلي هو المستأجر

---

[1]: التليلي العجيلي، **المرجع السابق**، ص100.

[2]: **الأحباس العامة**: وهي أملاك حبست من طرف أصحابها على مؤسسات وزوايا أصبحت هي المالك الحقيقي لها، بحيث ينص عقد التحبيس على الأوجه التي تنفق فيها عائدات تلك الأملاك كالترميم للمقام والزاوية، وشراء الحصى، وإيواء الزائرين. **ينظر**:التليلي العجيلي، **مرجع سابق**، ص102.

[3]:**الاحباس الخاصة**: وهي أملاك حبست على عائلات تتصرف فيها مباشرة أو عن طريق مقدمين. **ينظر**: نفسه، ص102

[4]: **المرجع نفسه**، ص ص102،101.

ولم تلبث السلطة الفرنسية حتى ألحقته بقانون أخر أرخ في 13 نوفمبر 1889م[1] وألحقتها بقوانين عديدة كانت تسعى من خلالها إلى تحويل أراضي الأوقاف العامة إلى أيادي المعمرين، وأصبح المعمر غير مكلف بالاتصال بجمعية الأوقاف بل يكفي التعامل مع إدارة الفلاحة التي أنشئت من اجل توسيع نطاق الاستعمار الزراعي والتي أصبحت فيما بعد مكلفة بمراقبة تصرف جمعية الأوقاف وضمان أن الأراضي ما زالت بحوزة الجمعية ولم تسرب للتونسيين[2].

كل هذه الإجراءات أدت بالمعمرين للسيطرة على مساحات كبيرة من الأراضي الفلاحية الخصبة ولعل أن الخطوة النهائية التي تم الاستيلاء فيها على الأراضي والاحباس العامة بقانون اقر في 13 نوفمبر 1898م، هذا فيما يخص الاحباس العامة[3]،أما بالنسبة للحبوس الخاصة فيقول احمد القصاب بأنها لم تتعرض للانتهاك الاستعماري الزراعي بمثل الأوقاف العامة، لأنها لا تباع إلا بموافقة المنتفعين ولا تنتهك بمثل السهولة التي تنتهك بها الحقوق الراجعة لأملاك الدولة، ورغم ذلك لم يمنع ممثلي المعمرين من المطالبة بإلغاء الأوقاف العامة أو الخاصة بدون قيد ولا شرط وذلك في سنة 1903-1904م لكنها لم تأخذ بعين الاعتبار، و أنها لا تعود بالنفع لصالح الاستعمار الزراعي الفرنسي[4] لكن الحقيقة بأن الاستعمار استهدف الاحباس العامة والخاصة ولم تسلم بدورها من تلك القوانين رغم

[1]: قارة فاطمة، **المرجع السابق**، ص ص 55، 56.

[2]: أحمد القصاب، **المرجع السابق**، ص80.

[3]: التليلي العجيلي، **المرجع السابق**، ص103.

[4]:أحمد القصاب، **المرجع السابق**، ص ص 81، 82.

تحذيرات البشير صفر[1] من هذه الناحية إلى المقيم العام بتاريخ 15 سبتمبر 1903 ، وقد استطاعت السلطة الاستعمارية الحصول على مساحات شاسعة من حساب الأحباس الخاصة والعامة.

وفق مشروع المقيم العام فلاند في نوفمبر 1918 إلى ديسمبر 1920 م، استولت على أراضي الأوقاف الخاصة و ألحقتها بإدارة الاستعمار التي توزعها على المعمرين الذين يجب أن يعدوا بالا لأف المؤلفة على حد قولها، وقد مست بالمصالح الجوهرية لمشايخ الطرق الصوفية، مما أدى إلى خروج المتظاهرين في يوم 14 ماي 1920م، وعلى رأسهم مشايخ الزوايا، حيث تجمهروا أمام مقر الإقامة وأكد لهم هذا الأخير بأن القانون لا يستهدف معتقداتهم الدينية، ولم يتم الإمضاء عنه إلى حد اللحظة، لكن السلطة الاستعمارية كانت متمسكة برغبتها في الاستحواذ على أراضي الأحباس الخاصة، فأصدرت قوانين عديدة مثل قانون 5 جويلية 1935 م، الذي اتبعته بقانون 17 سبتمبر 22 نوفمبر 1935، مما أدى في سنة 1937م إلى بعث جمعية للدفاع عنها مقرها خمسة نهج النحاس بتونس.[2]

هذه هي أهم ملامح السياسة الاستعمارية اتجاه الطرق الصوفية من حيث انتزاعها للأراضي و الاحباس، وبالتالي إضعاف مشايخها ماديا وأدبيا لتسهيل السيطرة عليهم والتحكم فيهم، الأمر الذي أدى بالكثير منهم إلى تدهور مداخيلهم، مما حملهم على التدين مثل محمد العربي وأخيه عبد

[1]:**البشير صفر**:من أصل تركي، ولد بتونس سنة 1856، زاول تعليمه بالمدرسة الصادقية، ثم سافر إلى فرنسا لإتمام دراسته هناك بمعهد سان لوسان، وبعودته لتونس اشتغل مترجماً بالكتابة العامة، ثم اصح أول رئيس لقسم المحاسبات، ساهم في تأسيس الجمعية الخلدونية التي كان يشرف فيها على دروس في التاريخ، كما شغل منصب في جمعية الأوقاف، عين قايد سوسة سنة 1908م، وتوفي سنة 1917م. **ينظر**: التليلي العجيلي، **المرجع السابق**، ص104.

[2] :التليلي العجيلي،**المرجع السابق**، ص104

الرحيم الشريف صاحبي الزاوية القادرية بالقصور، يمكننا قول بأن الاستعمار الفرنسي لتونس اعتمد سياسة ممنهجة، في تعامله مع الطرق الصوفية ومشايخها، قصد تطويعهم، واحتوائهم، وتوظيفهم، حتى تستعين بهم عند الحاجة ولا يصدر عنهم ما يهدد مصالحها[1].

5/–تدخل السّلطة الاستعمارية في تسمية مشايخ الطرق:

حيث فرضت على المرشحين لخطة مشيخة الطريقة عدة إجراءات إدارية، لا بد أن تتوفر في المترشح من معلومات شخصية ولابد لملف المترشح أن يتضمن بطاقة قيس وبطاقة عدد 03 لمعرفة بأن المترشح ليس لديه سوابق عدلية، وألغت بذلك كل من لا يكن لها الولاء ورفضته.

6/–مراقبة السّلطة الاستعمارية لتنقلات مشايخ الطرق:

فقد سنت سلطة الاحتلال على قوانين تدعوا إلى ضرورة انتهاجها واحتوائها والعمل بها قبل التنقل، باعتبار أن هذه الطرق لها نفوذ مادي وأدبي واسع على أتباعها بقانون مؤرخ في 29جانفي 1913م الذي أصبح فيه التنقل محجر دون ترخيص، ووضح لمشايخ الزوايا ونوابهم الأعمال القانونية التي يلتزم إتمامها قبل التنقل[2].

[1]: التليلي العجيلي، **المرجع السابق**، 104-106.

[2]: حنان يحياوي، نعيمة يماني، **مواقف الأعيان والزعامات المحلية من فرض الحماية الفرنسية على تونس والمغرب الأقصى**، (شهادة ماسترفي تاريخ المغرب العربي المعاصر)، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، 1438-1439هـ /2017-2018م، ص ص47، 48.

المبحث الثاني: موقف الطرق الصوفية من الحماية الفرنسية على تونس:

كانت الطرق الصوفية في البلاد التونسية تتمتع بأهمية كبيرة، خصوصا وأنها من بين ابرز التنظيمات التي تقدر على التصدي للسلطة الفرنسية واحتكاراتها التعسفية باستنفار السكان، وإعلان التعبئة العامة، وتنظيم الجهاد[1]، إذ كان شيوخ هذه الطرق يتمتعون بولاء سكان الايالة لما لها تأثير كبير في نفوسهم ولدى نظام الحكم، خصوصا وأنهم يتمتعون بثراء كبير ناتجا عن الضرائب التي يجمعونها فكانوا يمثلون الدرع المتين للسلطة من اجل الحفاظ على الأمن والاستقرار وردع المتمردين وذلك نظرا لولائهم التام للسلطة، كما كان هنالك أطراف وعناصر منهم يدعون للدين الإسلامي وينشرون تعاليمه ممثلين لجميع الطرق الدينية.

تنوعت مواقف الطرق الصوفية اتجاه مسألة الحماية الفرنسية، بين مؤيدة وأخرى معارضة، ولعبت دورا هاما في تنظيماتها السياسية، وبالتالي جمعت بينما هو ديني وجانب دنيوي، ولم تحصر نفسها فقط بالجانب الديني وبالتالي أصبحت ذات قوة سياسية كبيرة[2].

1/- الطرق المؤيدة للتواجد الفرنسي بتونس:

والمقصود بهم تلك الطرق التي كانت راضية مدعمة للسلطة الفرنسية بشتى الطرق من اجل بسط سيطرتها على كامل التراب التونسي. ويمكن أن نعدها على الشكل الاتي: [3]

[1]: التليلي العجيلي، **المرجع السابق**، ص ص115، 116.
[2]: قارة فاطمة، **المرجع السابق**، ص ص58، 59.
[3]:**المرجع نفسه**، ص59.

1/1-موقف الطريقة التيجانية من التواجد الفرنسي بتونس:

أثبتت بعض السجلات الرسمية أن بعض مشايخ الطرق الصوفية قد ساعدت الإدارة الفرنسية في الدخول للأراضي التونسية وبسط نفوذها على كامل ترابها، ومن ابرز هؤلاء الشيوخ هو شيخ الزاوية التيجانية ببوعرادة، الشريف المنوبي[1] الذي بعث برسالة إلى وزير الخارجية الفرنسية بباريس يوضح فيها بأنه استقبل الجيش الفرنسي وأمر القبائل بالخضوع للنفوذ الفرنسي، بحجة انه لا داعي لإراقة الدماء وبذلك جعل الطريق معبدا أمام القوات الفرنسية[2]، وكان شيخ الزاوية ببوعرادة الشريف المنوبي[3] يزعم انه من نسل الرسول صلى الله عليه وسلم وبأنه من يتزعم الطريقة، كان متفانيا في خدمته للسلطة الفرنسية مما منح الطريقة تسهيلات كبيرة وانضمام العديد من الموالين لها واغلبهم كانوا من اللصوص والخارجين عن القانون.

لقد كان القائد العسكري سيونcyone[4] هو مساعد الملحق العسكري بول كامبون[5]، يشارك الزاوية في مائدة الطعام كل جمعة، ولعل ذلك راجع للتفتح الذي كانت تعيشه التيجانية اتجاه الاستعمار الفرنسي، مما افقدها مصداقيتها وتراجع الطريقة السنوسية عن منافستها على الحدود

---

[1] **أنظر الملحق 06، ص96.**

[2]: لطيف رزقي، **المرجع السابق**، ص97.

[3]: **الشريف المنوبي**:محمدالمنوبي بن صالح العمراني، كان يطلق على نفسه لقب " الشريف التجاني" ويضعه كتوقيع له، ولد تقريباً سنة 1892م بقرية بوعرادة التابعة حينها للمراقبة المدنية مجاز البيت ولم يكن له ظهور معتبر قبل حرب 1914م، انخرط في الجيش الفرنسي وعرف عنه ولائه لفرنسا...**للمزيد ينظر: مرجع سابق**، ص106.

[4]: **سيون**:مساعد الملحق العسكري لدى بول كبون المقيم العام آنذاك، اشتغل في المكاتب العربية بالجزائر 1861/1881م، **ينظر**: التليلي العجيلي، **المرجع السابق**، ص119.

[5]: **بول كامبون**:ولد بباريس سنة 1843م، عين سنة 1870م رئيسا على ديوان جول فيري، ثم مقيم عام بالبلاد التونسية من مارس 1882م إلى نوفمبر 1870م. **ينظر**: نفسه، ص119.

التونسية[1]، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد فقط بل بادر شيخ زاوية ببوعرادة سالف الذكر بمجرد قيام الحرب العالمية إلى كتابة رسالة ولاء للاستعمار الفرنسي دعا فيها بالنصر والتمكين لفرنسا وأعرب عن استعداده بالتطوع بابنه محمد التيجاني فداء لفرنسا في حربها ضد الألمان داعيا الجنود والضباط والأهالي لانتهاج وإتباع نسقه، وعلى ما يبدو أنه كان ضمن الجيش الفرنسي وبالتحديد فرقة الصبايحية[2] ويبدو أن التيجانية بالجنوب التونسي كان موقفها مشابها للتجانية بالجزائر، التي عبرت عن ولائها وخضوعها التام، وكان إذا تمرد احد وأعلن عدوانه عليها يقال من منصبه، كما أن السلطة الفرنسية قد استغلت زيارة محمد الصغير لتونس سنة 1885م للترويج بأن التيجانية تدعم السلطة الفرنسية موجهة بذلك دعاية الجامعة الإسلامية باعتبار أنها الطريقة المعادية لسنوسية، فأخذت السلطة الفرنسية تكافئ مشايخ زوايا الطرق الصوفية الموالية لها عن طريق منحهم سلطات ونفوذ واسع واتفقت القبائل بعدم الاكتراث لهذه الزوايا والتخلي عنها وعدم العودة لها وتنظيم المقاومة بنفسها استنادا لمشايخ واعيان القبائل، إلا أن اختلافا واسعا حدث بين الطرق في قضية الانتماء والولاء لهذا التكتل من طرف القبائل وأصبحت المواقف متباينة بالنسبة للطريقة التيجانية من زاوية لأخرى[3]، ولم تتأثرالسلطة الفرنسية من معارضة بعض الزوايا الثانوية لها بل كانت تهتم بأوامر وولاء الشيوخ الزوايا، وقد أطلق على التيجانية بأنها صديقة فرنسا مما افقدها مصداقيتها، ولعل أن الطرق الصوفية قد تأثرت سلبا بسبب رواج فكرة الحركة الإصلاحية التي كانت تسعى إلى إصلاح الفكر الديني والتخلص من

[1]: أحمد دركوش، **المرجع السابق**، ص ص64، 65.

[2]: شيخ لعرج، **موقف الطريقة التيجانية من قضايا الاستعمار الكبرى ففي شمال و غرب أفريقيا خلال القرن 19م و بداية القرن 20م**،(رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر)، جامعة وهران1 أحمد بن بلة، 2016-2017، ص ص124 .125

[3]: أحمد دركوش، **المرجع السابق**، ص66.

الطرق الصوفية بحجة أنها تنشر البدع والخرافات والشوائب وتستغل السكان لمصالحها[1]، ولابد لنا من الإشارة بأن هذا الموقف لا يعني بالضرورة انه يمثل كل زوايا الطريقة التيجانية فهناك زوايا تيجانية كانت مناهضة لمواقف ولاء الزوايا التي تم ذكرها مسبقاً، إلا أن السلطة لم تكترث لها[2].

2/1-موقف الطريقة القادرية من التواجد الفرنسي بتونس:

لقد قدمت الزاوية القادرية بالكاف دورا كبيرا في مساعدة الاستعمار الفرنسي للدخول إلى المدينة والسيطرة عليها، و سهلت لهم عملية الغزو، ولعب سيدي قدور دورا هاما في العمل عن التراجع عن المقاومة التي وصل صدى التحضير لها للحاكم العام في الجزائر، وفتح هذا الأخير أبواب مدينة الكاف في أحضان القوات الفرنسية، وكان سيدي قدور على تواصل مع القنصل الفرنسي "روا[3]"طيلة شهر ابريل من سنة 1881م قبل وقوع الحماية، وفي فترة كان يتم التحضير لها أي قبل معاهدة برادو حيث بعث للقنصل انه على استعداد تام لتقديم يد المساعدة له وانه على استعداد للذهاب لمقابلة اللواء "لورجوlogerot"وإعلان الولاء له مما لاقت استحسان القنصل"روا" واعتبرها فكرة جيدة وابلغ بها "لروسطن"Reustan[4]الذي وافق عليها حجة منه عن ابتعاده عن إراقة الدماء لكن القائد "لوجرو"رفض مقابلته، ولقد كان صديق سيدي قدور وراء التخلي عن فكرة الجهاد باعتباره صاحب

---

[1]: أحمددركوش:**المرجع السابق**، ص67.

[2]: قارة فاطمة، **المرجع السابق**، ص63.

[3]:**روا**:هو جاسوس وعسكري فرنسي، اشتغل كاتب عام للحكومة التونسية المحمية، وكانت تجمعه اتصالات متبادلة مع شيوخ زاوية الكاف القادرية.. للمزيد **ينظر**: أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج04، ط 01، 1998، ص56.

[4]: **لروسطن**: أو تيودور ولد سنة 1833م، عين قنصلاً عام لفرنسا بتونس سنة 1874م، ثم أول مقيم عام لفرنسا بتونس سنة 1881م وعين سنة 1881م سفيراً لبلاده بواشنطن ثم بمدريد، توفي بباريس سنة 1906م. **ينظر**: التليلي العجيلي، **المرجع السابق**، ص116.

النفوذ المادي والروحي في المنطقة والدور التخاذلي الذي لعبه قادة وأعوان المدينة، كلها أسباب ومواقف اجتمعت ومهدت الطريق للاستعمار الفرنسي للدخول للمدينة من أوسع أبوابها، وعلى ما يبدو أن الشيخ صديق قدور كانت تجمعه علاقة وطيدة بينه وبين رواالذي وعلى ما يبدو انه كان سببا في حمايته من التهديدات التي كانت تصله من الطريقة الرحمانية بالموت، وقد ورد ذكر الشيخ محمد شعبان[1] من بين احد مشايخ الطريقة القادرية الذين نسقوا مع الاحتلال الفرنسي وبنوا موقفه من خلال ترحيبه بالقوات الفرنسية عند نزولها بتونس.[2]

إن موقف زاوية الطريقة القادرية لا يمثل بالضرورة مواقف الطريقة بأكملها عبر التراب التونسي إلا أنها أبرزها وذلك بسبب أهميه الزاوية المذكورة وأنها قطب من أقطاب الطريقة القادرية ومركز من مراكز نفوذها الروحي، ويجدر الإشارة بأن هناك مشايخ زوايا طرقية أخرى كانت لهم المواقف ذاتها و إن لم تكن بتلك القوة، مثل موقف شيخ الطريقة الشابية الذي لعب دور الوسيط بين الجيش الفرنسي والسكان لتهدئة الأوضاع.[3].

2/- الطرق الرافضة للتواجد الفرنسي بتونس:

وتعني تلك الطرق التي لم تؤيد التواجد الفرنسي بالبلاد وحافظت على مكانتها واستقلاليتها، ولم تنجرف نحو الإغراءات الفرنسية مثل ما فعلت طرق أخرى، و قد تم ذكرها مسبقا، ولعل أن الطريقة

[1]: **محمد شعبان**: شيخ من مشايخ القادرية و إمام بجامع بارادو آنذاك، وقد ورد ذكره ضمن الذين نسقوا مع الاحتلال الفرنسي، حيث شوهد يرحب بالقوات الفرنسية آنذاك. **ينظر**: التليلي العجيلي، **مرجع سابق**، ص118.

[2]:التليلي العجيلي، **المرجع السابق**، ص-ص115-118.

[3]:**المرجع نفسه**، ص ص117، 118.

الرحمانية كانت من بين أبرز الطرق المعارضة للتواجد الفرنسي، ونجد زواياها قد انتهجت نفس النهج فقد عمل شيخ الطريقة الرحمانية بأولاد عون حسونة بن أحمد بن عبد الملك[1]على عرقلة مشروع سد وادي بوزوافة لري سهل سليانة، وقد كان موقفه مخالفا لموقف المنوبي التيجاني واحمد قدور [2]، حيث برهن عداوته للاستعمار سنة 1881م ونفي إلى تونس وتم العفو عنه سنة 1888م، كذلك كان شيخ زاوية الطريقة الرحمانية بالكاف علي بن عيسى من ضمن المناهضين والرافضين للاستعمار الفرنسي وقد تبين ذلك عندما قرر قتل القنصل الفرنسي "روا"بمدينة الكاف، وعندما شجع الأهالي على الوقوف في وجه القوات الفرنسية، وسجلت محاولات من قبل معمر الزائر شيخ الزاوية الرحمانية بكدية الحلفاء بماجر بالوقوف في وجه "فورجمولforgemol "لكنه في الأخير فر إلى طرابلس وعاد منها سنة 1882م وعند وفاته خلفه أخاه وكافح الاستعمار الفرنسي، مما يبين بأن بعض زوايا الطريقة الرحمانية كانت من بين ابرز زوايا الطرق الصوفية التونسية التي وقفت في وجه الغزو الفرنسي رغم ما تخللها من تردد وأراء غير ثابتة [3]، كما كان للطرق الصوفية دور هام في انتفاضة الفراشيش سنة1906م وأحداث الجنوب سنة 1915إلى 1916م[4]، فمثلا ثورة الفراشيش كان وراءها أحد أفراد الطريقة الرحمانية وهو المسمى بمعمر بن عثمان، هذه الثورة التي جمعت سكان الفراشيش ضد

[1]:**حسونة بن أ حمد بن عبد المالك:** هو شيخ زاوية الطريقة الرحمانية بالشط الواقعة تقريبا 16 كلم غرب تبرسق، ولد سنة 1821م استمد نفوذه من مصاهرته للشيخ مصطفى بن عزوز شيخ الرحمانية بالجريد، كما أنه كانت تربطه علاقة بشيخ رحمانية الاغواط بالجزائر وكانت له ثورة كبيرة يدعم بها نفوذه على أولاد عون، توفي سنة 1921م. **ينظر**: التلي العجيلي، **مرجع سابق** ص121.

[2]: قارة فاطمة، **المرجع السابق**، ص68.

[3]:التليلي العجلي، **المرجع السابق**، ص-ص121-123.

[4] : يعتبر أخر جهة من الايالة التي خضعت للاحتلال الفرنسي بعد صمود طويل مما حتم على الإدارة الفرنسية وضعه تحت الإدارة العسكرية، عمته انتفاضات كبيرة في فترة اندلا ع الحرب العالمية الأولى التي دخلت الدولة العثمانية إلى جانب ألمانيا، وكان مسرحا للعديد من المعارك العنيفة ضد القوات الفرنسية . **ينظر**: قارة فاطمة، **المرجع سابق**، ص73.

احد المعمرين الفرنسيين حول قضية الأرض المعروفة ببرج الشعانبي وأحداث كثيرة تلتها مثل زحفه نحو ضيعة لمعمر فرنسي يدعى "بارتران" فقد استقدمت هذه الحادثة مجموعة من المهاجمين حتى بلغ عددهم 30 شخصا متجهين نحو منجم عين حمودةوإرغام رئيس المنجم على نطق الشهادتين، لكن في أحداث دبرت بمهاجمة تالة بتاريخ 27 ابريل 1906م وكان على رأسها عمر بن عثمان حيثتصدت لهم السلطات الفرنسية واستطاعت قتل الكثير منهم والقبض على الكثير مثلوا أمام المحكمة الجنائية بتاريخ 22 نوفمبر 1906م[1]،ولكن والملاحظ لحيثيات هذه الأحداث فإن معظم الطرق الصوفية بالمنطقة وعلاقتها بالاستعمار كانت تتميز بنوع من المهادنة[2].

[1]: قارة فاطمة، **المرجع السابق**، ص ص68،69.

[2]: **المرجع نفسه**، ص72.

المبحث الثالث: موقف الطرق الصوفية من المقاومات الشعبية:

بعدما عرفنا موقف الطرق الصوفية ومشايخها من الدخول الفرنسي لتونس، نحاول معرفة موقف الأهالي و القبائل من ذلك، خصوصاً تلك القبائل التي تملك نفوذ طرقي هام جداً في البلاد ونقف على حيثياتها ونعرف الدور الذي لعبته الطرق الصوفية ومشايخها في هذه المقاومات الشعبية وهل كان لها يد فيها باختلاف مواطنها عبر القطر التونسي.[1]

1/-المقاومة بالشمال والشمال الغربي:

من بين أبرز المقومات في هذا القطر هي مقاومة قبائل خمير وسكان الجبال، فعندما عرفت هذه القبائل بخبر وصول سفن جيش الاحتلال إلى ميناء طبرقة قاد شيوخها الأهالي إلى مقاومة الأعداء خاصة قبائل أولاد بوسعيد، والحوامدة، و أولادعمر، ولم تتمكن القوات العسكرية من الاستيلاء على المدينةإلا بعد أن قصفتهافي 26 ابريل 1881م، في حين بقيت فروع أخرى للمنطقة كما هي تقطع السبيل على القوات الفرنسية والقادة من الجزائر، فاستطاعت التصدي لكتيبة الجنرال"فانسندون" بتاريخ 26أفريل[2]1881م، وقد اعترفت السلطات الفرنسية بمجهودات هذه القبائل وأكدت بأنهم واصلوا الدفاع لساعات طويلة ولم يتوقفوا حتى تكبدوا خسائر فادحة،حيث التحقت قبائل من جهة جندوبة[3] بمشاركة قبائل بوسالم والشياحية و عمدون بالمقاومة رفقة جنود فروا بأسلحتهم من معسكر علي باي في 29 ابريل 1881م للدفاع عن موطنهم على اثر احتلال سوق الأربعاء، وقد دارت

[1]: التليلي العجيلي، **المرجع السابق**، ص123.

[2]:علي محجوبي، **المرجع السابق**، ص46.

[3]: وهي ولاية من ولايات الجمهورية التونسية.

معركة عنيفة بسهل بوسالم في 30 ابريل، ولكن نظرا لقوة العدو وتفوقه فرت هذه القبائل من ساحة المعركة[1]، كما يجدر بنا الإشارة إلى دور قبائل مقعد في الشمال ومواجهتها للقوات الفرنسية بشجاعة وبسالة، فقد استولت هذه القبائل على سفينة حربية فرنسية بتاريخ 28 ابريل 1881م و أغرقوها بعرض الساحل التونسي وبالتحديد بين رأس سرات وميناء بنزرت، فنهبوا ما فيها وأكدت السلطات الفرنسية بأن قبيلة مقعد كانت برمتها في حالة عصيان ولم تتمكن من الإطاحة بها إلا في بداية شهر جوان فأرغمتهم حينها على تسليم السلاح ودفع غرامة حربية ب 12,000 فرنك، وكان لقبائل كل من "نفات" و" الجلاص "و "الفراشيش "و "الهمامة" و "أولاد عيار " رفقة شيوخها وقاداتها الدور الكبير في سير المقاومة[2]، وقد انعقد اجتماع بتاريخ 19 أوت 1881م بسبيطلة حضره أعيان وشيوخ هذه القبائل لدراسة كيفية سير المقاومة، فتجسدت هذه الاجتماعات بتقسيم المعركة إلى نصفين الأولى شاركت فيها كل من قبائل الفراشيش والزغالمة وماجر بقيادة محمد بن يونس والحاج الحراث وقد فشلت،والثانية التي شارك فيها أولاد عيار وماجر والفراشيش والجلاص بقيادة كل من الحاج علي بن عبد الله وفرحات بن علي بن سيد فكانت تهدف إلى منع جيش الاحتلال من التوغل داخل البلاد[3].

كل هذه الأحداث المتعلقة بالمقاومة بالشمال والشمال الغربي ما هي إلا انتماءات للطرق الصوفية للقبائل التي اشرنا لها سابقا، والتي شاركت في المقاومة وعلى ما يبدو أن قبائل خمير كانت تنتمي

[1]: علي محجوبي، **المرجع السابق**، ص46.
[2]: قارة فاطمة، **المرجع السابق**، ص79.
[3]: **المرجع نفسه**، ص81.

للطريقة الرحمانية و أولاد بوسالم كانت تنتمي إلى الطريقة القادرية في حين تنتمي قبائل عمدون إلى الطريقة الرحمانية، لذلك فيمكننا القول بأن الطريقة الرحمانية هي من كانت وراء هذه المقاومات التي تزعمتها هذين القبيلتين عمدون وخمير بقيادة أصحاب نفوذها الروحي علي بن عيسى واحمد بن عبد المالك خصوصا وأنهم كانوا يكنون العداوة للاستعمار الفرنسي، وبالتالي استطاع كل منهم التأثير في مواقف أتباعه في المنطقة.[1]

لقد التجأت السلطة الرسمية إلى مشايخ الطريقة الرحمانية للتدخل لدى قبائل خمير وذلك إقرارا منها بنفوذهم عليها، وبالتالي ضمان وساطة بينه وبين هذه القبائل، و أما تحرك أولاد بوسالم من أتباع الطريقة القادرية فقد خرجت و تجاوزت موقف طريقتهم التي اتضح أنها تواطأت مع الغزاة عند دخولهم لمدينة الكاف مركز الزاوية الأم للطريقة وأعلنت المقاومة ضد التواجد الفرنسي في البلاد، ولعل أن هذا الهيجان وهذه المقاومة كانت راجعة للاجئين الجزائريين في المنطقة، الذين كان يطلق عليهم اسم الغرابة الذين أججوا حماسهم وشعورهم بالوطنية خصوصاً وأن المنطقة كانت لها حدود مع الجزائر، فاندفعت هذه القبائل وأبناءها من الجنود في 29 ابريل 1881م للدفاع عن وطنهم[2].

2/-المقاومة بالجنوب التونسي (قابس، صفاقس):

شهدت الجنوب التونسي مقاومة مسلحة كبيرة بنواحي صفاقس وذلك خلال شهر جوان 1881م قام بها عدد من السكان بمساعدة قبيلة المثاليث، وقد انتشرت شائعات في هذه المدينة مفادها أن

[1] : التليلي العجيلي، **المرجع السابق**، ص226.

[2]:**المرجع نفسه**، ص 127.

السلطة العثمانية ستتدخل لطرد فرنسا من البلاد التونسية، مما أثار الفزع في نفوس الجاليات الأوروبية التي تقطن المدينة ومخاوف الأعيان من وقوع النهب والسرقة، وحتى يجنب الجالية الأوروبية من حالة الغضب والهيجان الذي كانت تعيشه المنطقة لجأ نائب القنصلية الفرنسية بصفاقس هو وعائلته إلى باخرة البشير[1] في تاريخ 25 جوان من نفس السنة مطمئنا للجاليات الأوروبية، وأسس القائد حسونة الجلول بمعية الأعيان حرساً مدنيين لحماية الأوروبيين وإطفاء غضب السكان، ولكن وما أن أرسلت السلطات الفرنسية باخرة ثانيةإلى صفاقس بتاريخ 27 جوان 1881م، حتى وقعت هجومات من السكان بشراكة قبيلة المثاليث ضد القنصلية الفرنسية وأطاحوا بالعلم وقاموا بضرب القنصل الفرنسي "مايتي"، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد فحسب بل هاجم الثوار القائد حسونة الجلول لتواطؤه مع فرنسا لكنه احتمى بزاوية سيدي علي الكراي وذلك قبل أن يلتحق سراً في الفاتح من جويلية بمعونة أعيان المدينة بإحدى سفن الأسطول الفرنسي في سواحل صفاقس[2].

تأسست لجنة للدفاع عن المدينة وضمت 40 عضوا من أصلي صفاقس وعشرة من المثاليث برئاسة محمد الشريف ضابط المدفعية بحامية صفاقس، وقد انضمت للمقاومة مع قائدها محمد معتوقبمساعدة الشيخ محمد كمون وانضمام العديد من الأعراب لدعم المقاومة، في حين وصل علي بن خليفة النفاتي إلى ضواحي المدينة في شهر جويلية محملاً بعدد كبير من أبناء قبيلته وأصبحت تجمعه اتصالات مع قبائل المثاليث، السواسي، والجلاص ، وقد لقي دعما كبيرا من عند هذه القبائل بالإضافةإلى قبيلة بني زيد ونفات، فأصبح القائد الفعلي لصفاقس باعتراف سكان المدينة بنفوذه

[1] : هي باخرة حربية قديمة من أسطول الباي.

[2]: حنان يحياوي، **المرجع السابق**، ص ص43،44.

وسلطته رغم حالة التردد والمراوغة التي كانت لدى أعيان المدينة اتجاهه إلا أنه وبعد فترة طويلة اعترفوا بسلطته ورأوا فيه الرجل الوحيد القادر على حماية أملاكهم من الأعراب. [1]

لقد وقعت مدينة صفاقس في السادس عشر من شهر جويلية 1881م، إذ أن المقاومة لم تستطيع الصمود أمام الأسطول الفرنسي الذي ضم 17 سفينة حربية وستة ألف جندي بحلول تاريخ 14 جويلية مما يوضح الفوارق التقنية بين أسلحة الثوار وجيش الاحتلال، أدى إلى هلاك الكثير منهم ووقوع مدينة صفاقس[2] تحت رحمة الاحتلال، واتجه أعيان البدو برفقة الحاج صالح بن خليفة شقيق قائد النفات نحو قابس لتنظيم المقاومة بها، ووقع اجتماع في دار خليفة المنزل حضره أعيان المنطقة ودعوا للخضوع لقوات الاحتلال، فقوبل بالرفض وغضب أغلب الحضور وقوية عزيمة الجماعة للمقاومة عندما سمعوا بخبر نزول الجيش العثماني بطرابلس وقدومه لقابس، وقد وصل أسطول فرنسي إلى قابس بتاريخ 14 جويلية 1881م بمعونة أعيان جاره وانتصبوا ببرج هذه البلدة واخذوا بقصف الثوار المجتمعين بالمنزل، فدارت معركة بين الجيش الفرنسي ورجال المقاومة وانتهت بهزيمة الجيش الفرنسي وعودته إلى معسكره، لكن بتاريخ 26 من نفس الشهر تمكنت القوات الفرنسية بقيادة الكونيل"جاميJameis"من الإطاحة بالمدينة واحتلالها ولكن بقيت الأوضاع متذبذبة فيها

[1]:علي محجوبي، **المرجع السابق**، ص49.

[2] : **صفاقس**: هي مدينة تونسية ، تقع في إقليم على ساحل البحر المتوسط ضمن حدود الإقليم الثالث بالنسبة لأقاليم العالم السبعة المعمورة التي حددها و قسمها المؤرخون وبالتحديد في النصف الثاني من الأقاليم الثلاث ، تقع في تونس على ساحل البحر الأبيض المتوسط الشرقي، شمال خليج قابس و تحدها سوسة والقيروان شمالاً، والمهدية و جربة شرقاً. **ينظر**: أثير عبد الكريم صادق، "التجارة في صفاقس خلال القرنين الثاني و الثالث الهجريين"، **دراسات تاريخية**، العدد السادس عشر، 2014م ص303.

بعدم الاستسلام التام للعدو بالفرنسي إلا في نهاية شهر نوفمبر من نفس السنة عندما تم السيطرة على المنطقة بشكل فعلي وكامل[1].

وإذا ما أشرنا إلى العامل الطرقي في تلك المنطقة فتعتبر صفاقس من اقل جهات السواحل من حيث الأتباع باستثناء الطريقتين العيساوية والمدنية وبحكم العلاقة التي كانت تجمع ما بين ظافر المدني مؤسس الطريقة المدنية و السلطان العثماني عبد الحميد فإنها هي الطريقة المهيئة أكثر من غيرها لتنظيم المقاومة بصفاقس، ورغم عدم وجود الأدلة الكثيرة لانخراطها في المقاومة بصفاقس ضد الاحتلال الفرنسي إلا أن السلطة الفرنسية كانت متفطنة لخطورة هذه الطريقة ودورها في المدينة ولمنع خطورتها أخذت تطبق سياسة الاحتواء بتقديم مبالغ مالية وإعفاءات لكسب صداقتها وبالتالي لم يكن للطريقة المدنية دور في مقاومةصفاقس للاحتلال الفرنسي، ولا يمكن إرجاع حماس الصفاقسيين إلى ولائهم للطريقة المدنية المتمثلة في مدينتهم في محمد بن عبد الله شيخ زاوية المدنية بصفاقس وأمه أخت محمد ظافر رغم أن الطريقة لها أتباع كثر في طرابلس الغرب وإنما يعزى ذلك ولائهم للخلافة العثمانية[2].

كل هذا يوضح العوامل الأساسية والتي كانت محدودة في مقاومة صفاقس وقابس لدخول الاستعمار الفرنسي وغياب العامل الطرقي في المقاومة[3].

[1]: علي محجوبي، **المرجع السابق**، ص ص49،50.

[2]: التليلي العجيلي، **المرجع السابق**، ص136 وما بعدها.

[3]: **المرجع نفسه**، ص140.

3/-المقاومة بالساحل والوسط:

لقد جمعت هذه المقاومة قبائل الجلاص والهمامة وسكان القرى في الساحل ضد المحتل، وانضم لهم عدد كبير من الجنود النظاميين الذين هربوا من جيش الباي لمؤازره هذه المقاومة والدفاع عن وطنهم و قد شغرت هذه المعركة أربع مراكز رئيسية بالقلعة الكبرى بقيادة كل من الساسي سويلم والحاج علي بن خديجة وسعد بن حسين وولد البحر[1].

وبعد الإنتهاء من هذه المرحلة التي تعرف باسم التعبئة بدأ العمل الجدي في المقاومة في منع جيش الاحتلال من التقدم، ففي 05أوت اجتمع عدد كبير من قبيلة الجلاص واتجهوا نحو مدينة القيروان ونحو الشمال، وأقيمت غارات كبيرة بضواحي باردوا على قطيع من الإبل التي يملكها الباي بتهمة الخيانة وبيع البلاد للعدو، لحقت بهم جموع غفيرة من جل القبائل، وساندتهم حامية القلعة الكبرى[2] للجنود الهاربين من جيش الباي للتصدي للجيش الفرنسي، واستطاعوا أن ينشروا الذعر في أوساط حاشيته، وفي 26 من أوت 1881م أطاحت المقاومة بالمعسكرات التابعة لكتيبة المقدم "كوريار"، وبعدها بيوم غاروا على القوات الفرنسية وردوها على أعقابها في معركة الأربعين، وقد تواصلت هجومات المقاومين التونسيين حتى أعلنت القوات الفرنسية انسحابها إلى حمام الأنف ضاحية تونس العاصمة، وفي شهر سبتمبر من سنة 1881م وقعت مناوشات بين الطريقتين بمنطقة زغوان أعقبتها معركة حامية ضد جنود الفيلق الخامس من نفس الشهر وأصيب خلالها يوسف بن أحمد ابن القائد الهمامة بجروح في يده وعلى إثر هذه الأعمال أوقفت السلطة الفرنسية 15من الأعيان كرهائن

[1]: قارة فاطمة، **المرجع السابق**، ص82.

[2]:هي أحد المدن التونسية، تقع في ولاية سوسة .

وفرضت غرامة مالية على سكان المدينة بتهمة التعاون مع المقاومة مما أدى بالمقاومين إلى تغيير خطة هجومهم إلى مراقبة المسالك المؤدية إلى مدينة القيروان لمنع أي تغلغل فرنسي داخل المدينة، في حين أن القوات الفرنسية كانت تعمل على الهدف الذي رسمته وسطرته لنفسها وهو الغزو والسيطرة على القيروان[1] باعتبارها موطنا ورمزا للمقاومة، كما أشار "جون فيري"إلى ضرورة احتلال المدينة ووضع حداً للحملة التي شنها الصحافيون على حكومته بخصوص المسألة التونسية يهدئ الرأي العام والنواب وذلك قبل أوت 1881م أي في خضم الأزمة التونسية عند افتتاح دورته الأولى وهذا ما يفسر تعبئة قوات الاحتلال للزحف إلى القيروان وفتح كل الطرق المؤدية إليها انطلاقا من زغوان وسوسة وحتى البلاد الجزائرية[2]، وما إن حاولت القوات الفرنسية الدخول إلى المدينة حتى همت قبائل رياح و أولاد عون إلى قطع الطريق أمام الغزاة، فزحفت القوات الفرنسية نحو الجنوب بقيادة الجنرال"ساباتي" وعاقب المنهزمين ولم يعد للمعسكر بزغوان حتى امن الطريق المؤدية إلى مدينة القيروان، وجراء تفوق المحتل تقنيا وعدديا فشلت المقاومة التونسية في التصدي له وحماية المدينة، مما أدى بالسلطات المحلية لرفع راية الاستسلام بعد أحداث كلفت المقاومة التونسية خسائر وتقهقر كبير،فحاصرت القوات الفرنسية المدينة بجنود من الخيالة دون أن تطلق عليهم رصاصة واحدة واحتلت القوات الفرنسية المدينة المقدسة وبذلك تشتت المقاومة فبعضهم خضع للقوات الفرنسية والبعض الأخر واصل الكفاح والتحقوا بعلي بن خليفة قائد نفات في الجنوب ،حيث ظلوا

[1] : **القيروان**: مدينة أو معسكر أو مسلحة، وقد اختلف في لغة العرب في لفظ القيروان، فقيل هي موضع اجتماع الناس و الجيش وقيل محط أثقال الجيش وهي الجيش نفسه و المعنى متقارب، أسسها عقبة بن نافع عندما ق\م إلى إفريقية سنة 50 هـ، لهدف ديني وأخر عسكري وحربي. **ينظر**:محمد محمد زيتون، **القيروان و دورها في الحضارة الإسلامية**، دار المنار، ط01، القاهرة، 1988/1408م، ص ص 71، 72.

[2]:علي محجوبي، **المرجع السابق**، ص-ص50-52.

على عدائهم للمستعمرين وواصلوا المناوشات بينهم وبين السلطات الفرنسية، أما البعض الأخر فقد فضل الهجرة نحو طرابلس منتظرين تدخل القوات العثمانية، حتى خابت أمالهم وأذعنوا بدورهم للسلطات الفرنسية حتى تمكنوا من العودة إلى ديارهم، وبوفاة قائد نفات علي بن خليفة في أواخر سنة 1884م انتهت المقاومة ورضخ كامل سكان الأيالة للهيمنة الفرنسية[1].

تلك هي أهم مواطن المقاومة و مختلف لأطراف التي ساهمت فيها، وبقي لنا أن نشير إلى العامل الطرقي فيها، ولمعرفة ذلك يجب علينا معرفة الانتماء الطرقي لمختلف القبائل التي ساهمت في المقاومة ومعرفة دور الزوايا و الطرق الصوفية في تلك المناطق[2].

إن المتأمل في دور الطرق الصوفية في مقاومة قبائل الوسط والوسط الغربي بدخول الاستعمار لا يلاحظ التناقض في المواقف بين الطريقة والأخرى فحسب، بل يتبين قمة ذلك التناقض داخل الطريقة الواحدة وهذا يجعل الأمر صعبا لتحديد المواقف تبعا للطريقة في حين يكون الأمر سهلا حسب الزاوية التي كثيرا ما تكون مواقفها غير منسجمة ليس مع زاوية الطريقة الأم التي تنتمي إليها فحسب بل وحتى مع زوايا أخرى بقربها الجغرافي وتعود معها إلى نفس الطريقة، وقد اعتبر الحاج صالح الساري مقدم سيدي قدور على الزاوية القادرية بالفراشيش وراء المقاومة التي تصدت للغزو الفرنسي وكان له الفضل في اندلاع معركة حيدرة،[3]في حين كان مؤسس وشيخ زاوية عين المنشية الرحمانية بين

---

[1]: **علي محجوبي، المرجع السابق**، ص-ص53-55.

[2]:**أنظر الملحق رقم 07، ص)97**.

[3] : **معركة حيدرة**: هي مقاومة مؤلفة من قبائل ماجر و الفراشيش و الزغالمة الذين كانوا يعدون ألفين بين خيالة ومشاة تحت قيادة محمد بن يونس و الحاج الحراث ضد قوات فور جمول، وقد استمرت كامل مساء 17 أكتوبر 1881م راح ضحيتها عشرات القتلى و من ضمنهم القائد محمد بن يونس إلى جانب العديد من الجرحى. **ينظر**: التليلي العجيلي، **المرجع السابق**، ص128.

حيدرة وتالة محمد بن صالح بن الحاج الشافعي رافضا للمقاومة ضد الاستعمار الفرنسي، ومكافأة لهم عينه سنة 1886م قائدا على أولاد ناجي و الفراشيش، وكان شيخ زاوية بكدية الحلفاء معمر الزاير قد تصدى لمعركة كدية الحلفاء[1] شمال جبل مغلية، في حين كان عدد كبير من مشايخ الطرق الصوفية يمدون السلطات الفرنسية بمعلومات وأخبار ترويجية وذلك حسب ما ورد في تقرير في تاريخ 20 سبتمبر 1884م، وهنا يتبين لنا عدم الانسجام في المواقف بين الطريقة والأخرى بل حتى الزاوية التابعة لنفس الطريقة وشيخي الطريقة وأتباعه، ولعل من بين ابرز الأمثلة لهذا التناقض بين الشيخ وأتباعه هو موقف الشيخ محمد صالح بن الحاج الشافعي سابق الذكر وأتباعه حيث كان مواليا لفرنسا وأتباعه انضموا للمقاومة[2]، و هذا يفسر بأن الواقع الطرقي وإن انسجم أحياناً مع المقاومة فإنه لم يكن العامل المفسر لاندلاعها وهو أمر قد يفسر بطبيعتي علاقات قبائل الوسط والوسط الغربي لبعض الطرق الصوفية التي ينتمون إليها ومدى نفوذهم عليها، وبالتالي يمكننا القول بأن هذه القبائل كانت مدفوعة بالدرجة الأولى في مقاومتها للغزو الفرنسي للإيالة بدافع شعور غريزي قوامه مصلحة البلاد فوق كل اعتباروفي صدارة اهتماماتنا وهي مصلحه تجاوزت من اجلها القبائل ليس مشايخ بعض طرقها الصوفية المتواطئة أو خصوماتها وتشتتها فقط بل تجاوزت وتناست من أجلها حتى ظلم بعض قيادها[3].

[1] : **معركة كدية الحلفاء:** وقعت يوم 25 أكتوبر 1881م، حيث قرر الأهالي أن يستخدموا فيها كل قواتهم في وجه قائد الفيلق الفرنسي مما كلفهم مائة و خمسين قتيلاً. ي**نظر: المرجع نفسه**، ص129.

[2]: التليلي العجلي، **المرجع السابق**، ص-ص129-132.

[3]:**المرجع نفسه**، ص-ص133-136.

المبحث الرابع: مواقف الطرق الصوفية من الحركة الوطنية التونسية:

قبل أن نتطرق إلى موقف الطرق الصوفية من الحركة الوطنية التونسية يجب علينا أن نشير إلى أهم الأحداث الوطنية في تونس وعلاقة الطرق الصوفية بها.

1/–أهم الأحداث الوطنية في تونس وموقف الطرق الصوفية منها:

أ/_أحداث الزلاج:

تعددت الأسباب التي أدت إلى حدوث هذه الواقعة، ولعل أن من ابرز أسبابها هي اغتصاب الفرنسيين لأغلبية الأراضي التونسية الخصبة والوظائف العليا مع إثقال كاهلهم في دفع الضرائب ويعطى جزء منها لصالح المعمرين الفرنسيين، كما انه قد نتج توتر شديد بين التونسيين والجاليات الايطالية بسبب احتفالات هذه الأخيرة بوقوع طرابلس تحت سيطرة الاستعمار الايطالي وعلى اثر هذا التوتر نشرفيأكتوبر 1911م على جريدة الرائد الرسمي التونسي مطلب تسجيل لأرض مقبرة الزلاج، مما أثار غضباً وسط التونسيين خصوصاً وان التسجيل في ذلك الوقت كان يعني أن المقبرة ستكون من نصيب المحاكم الفرنسية كما يقتضي بذلك قانون ذلك العهد وبالتالي ستصبح من مقبرة للمسلمين إلى مقبرة للفرنسيين[1]، مما أدى بالسكان للاحتشاد حراسة للمقبرة، فحدثت تصادمات دامية تلتها قوانين استثنائية صدرت عن الباي في 08 نوفمبر 1911م، تمثلت في إعلان حالة الحصار العسكري على العاصمة وضواحيها وتكليف القيادة العسكرية الفرنسية بالمحافظة على الأمن

[1]: محمد المرزوقي، **دماء على الحدود، دار العربية للكتاب**، ليبيا- تونس، 1976، ص28.

فمنعت التجمعات وعطلت جميع الصحف العربية وأوقف الكثير من الشخصيات صدر ضدهم أحكام مختلفة سواءً كانت الإعدام أو الغرامات المالية أو غيرها[1].

أما إذا اشرنا إلى موقف الطرق الصوفية من هذه الحادثة فإن مقبرة الزلاج تقع بمقربة من المغارة الشاذلية أين كان أتباع الطريقة الشاذلية يزورونها واغلب سكان الحاضرة ينتمون إلى الطريقة الشاذلية ولكن بعد أن حققت السلطات الفرنسية في الحادثة تبين أن ثلاثة من المتهمين من أصل 72 اقروا بأنهم ينتمون إلى الطريقة الشاذلية، وفي مواقف مشابهة لسابقتها وأثناء حادثة الزلاج فإن شيخ زاوية بوعرادة كان يأمر أتباعه بالهدوء والخضوع وعدم المشاركة مع حركة الشباب التونسي في أي تحرك سياسي. هذا باختصار ما يمكن توضيحه فيما يخص أحداث الزلاج ودور الطرق الصوفية اتجاهها[2].

ب/_أحداث مقاطعة الترامواي 09فيفري1912م:

وقعت هذه الحادثة بعد واقعة الزلاج من طرف شركة فرنسية بتونس"ترامواي" وهي شركة للنقل الكهربائي بالعاصمة التونسية واغلب عمالها من الجالية الايطالية بتونس، كانت أسبابها حرب طرابلس فلجأت هذه الجالية إلى اغاضة التونسيين بالسخرية من المجاهدين الليبيين، وقد كان السائيقين الفرنسيين أو الايطاليين يعتمدون السرعة في الأحياء الإسلامية تخويفا للمارين، وعلى إثرها دهست عربة ترامواي يقودها ايطالي غلام التونسي في احد شوارع تونس يوم 8 فيفري 1912م، مما أدى إلى وفاة الغلام وتمت مقاطعة هذه الشركة من طرف التونسيين مما أدى إلى إفلاسها وخرجت السلطة

[1]: عليقي منيرة، **الطرق الصوفية والمسألة الوطنية في تونس 1881–1956م**، (مذكرةماسترفي تاريخ المغرب العربي المعاصر)،قسم العلوم الإنسانية، حامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، الجزائر، 2022/2021م، ص55.

[2]: **المرجع نفسه**، ص56.

الفرنسية بالتهديد لكل من قاطعها وتقدم زعماء الحركة الوطنية" علي باش حانبة[1]،حسن قلاتي[2]،احمد الصافي، محمدالعروي، للتراجع عن هذه المقاطعة.

أما فيما يخص موقف الطرق الصوفية وشيوخها من هذه المقاطعة فيجب الإشارة إلى أن السلطات الفرنسية قد لجأت إلى شيوخ الأضرحة لمباركة التروموای وحث الناس على الركوب من اجل فك هذه المقاطعة، لكنهم لم يستفيدوا منها شيئا، فمثلاً نبرز موقف أحد مشايخ الطريقة القادرية الذي دفع المال من جيبه لتلاميذه ليركبوا العربات، لكنهم بعد خروجهم اشتروا بذلك المال بعضا من الحاجيات في حين كان احد مشايخ الطريقة الرحمانية بمنطقة بجهة ماطر قد كان يتفاخر بدوره في تلك المنطقة والمجهودات التي كان يبذلها في سبيل خدمة الاستعمار مما يبين أن شيوخ الطرق الصوفية كانت تنحاز دائما إلى السلطة الفرنسية، وقد حاولت جاهده لفك هذه المقاطعة[3].

[1]: **باش حانبه**:ولد باشا حامبه عام 1879م بتونس، من أسرة تركية الأصل نشأ في وسط متفتح على الآراء العصرية ، مع تعلق متين بتركيا، درس في المدرسة الصادقية و الكلية الزيتونية، وأجاد اللغتين الفرنسية والعربية، عرف عنه ولعه وحبه لدراسة المشاكل المتولدة بين الحضارتين الشرقية والغربية، وعمل مترجم بدفتر خانة الأملاك العقارية، ثم وكيلاً لأملاك المدرسة الصادقية، كان من بين أعيان هيئة الشبان التونسيين وأنشأ جمعية حسن قلاتي لقدماء تلاميذ المدرسة الصادقية 1905م ودخل المجال السياسي وكان رئيس لصحيفة التونسي ثم صحيفة الإتحاد الإسلامي. **ينظر**: محمد الصالح المهيدي، **تونس في تراجم أعلامها**،ذاكرة و إبداع دراسة أنس الشابي، وزارة الثقافة المركز الوطني للاتصال الثقافي، المكتبة الوطنية التونسية، ج01، تونس، 2012م، ص101.

[2]: **حسن قلاتي**:محامي ومفكر وسياسي، ولد ببلدة بوغازي في مقاطعة الجزائر وقدم الى تونس في سن الواحدة من عمره، والده علي بن أحمد قلاتي المترجم العدلي، كان مولع بالغتين اللاتينية و اليونانية، درس في معهد كارنو معهد سان لويس كان صديق لعلي باشا حانبه ،اشتغل محامي وكان نشط في جريدة التونسي أصدر هو و أصدقائه جريدة البرهان ، توفي يوم الأحد 27 نوفمبر 1966م، ... **للمزيد ينظر**: الصادق الزمرلي، **أعلام تونسيون**، تقديم حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط1، ص333.

[3]:عليقي منيرة، **المرجع السابق**، ص57.

ج/– موقف الطرق الصوفية من أحداث 09أبريل 1938:

أما فيما يخص موقف الطرق الصوفية من أحداث 9 ابريل 1938م التي تبعتها حملة اعتقالات واسعة لعدد من المناضلين التونسيين[1] بسبب دعايات واجتماعات لحث الشباب التونسي على المكافحة، فخرج عدد كبير من التونسيين في مظاهرات يوم 9 ابريل1938م يطالبون بإطلاق سراح هؤلاء المناضلين، فوقعت أحداث دامية ذهب ضحيتها عشرات التونسيين والطلبة الزيتونيين، واعتقل عدد من الوطنيين، وطبق الحصار على المدن التونسية، وتم تحجير جريدة العمل التونسي، كما أنها اعتقلت غير المنخرطين في الأحزاب وماكان لمشايخ الطرق الصوفية إلا أنهم أعلنوا براءتهم من هذه الأحداث لها وأعربوا عن ولائهم الدائم لسلطة الاحتلال، مثل ما فعل أعيان الكاف مثل سيدي قدور شيخ الزاوية القادرية وغيره من المشايخ، حيث أكدوا للسلطة الفرنسية أن سكان الكاف بريئين من هذه الأحداث وأعربوا عن وقوفهم إلى جانب فرنسا في قرار اعتقال مثيري هذه الأحداث، وكان للزاوية التيجانية ببوعرادة نفس الموقف[2]، و يمكن أن نفسر موقف الزاويتين إلى المصالح والامتيازات التي منحتها فرنسا لها، والخوف من فقدانها من جهةأخرى هو الخطر الذي أصبح يهددها بظهور النشاط الوطني وتأثيره على مصالحها ومصالح فرنسا في تونس، وبالتالي أصبح الوطنيون أعداء للطرفين[3].

[1] : كان سبب الاعتقالات التي شنتها فرنسا على العديد من اعضاء الحزب هو عقدهم العديد من الاجتماعات العامة و اعداد الشعب للصمود أمام هذه الموجة من الإضطهادات خصوصا بعد الاضرابات التي قادها الحزب في نوفمبر 1937م، و التي أدت إلى وقوع اصطدامات بين الشعب و القوات الفرنسية المسلحة منذ1938م. **ينظر**: حمادى الساحلي، هذه تونس، ص96.

[2]:**عليقي منيرة، المرجع السابق**، ص ص60،61.

[3]: **المرجع نفسه**، ص62.

2/-موقف الطرق الصوفية من الحركة الوطنية:

كانت العلاقة بين الطرق الصوفية وأعضاء الحركة الوطنية علاقة عدائية تخللها نوع من التوتر نتجت عنه تصادمات خاصة بعد بروز الفكر الإصلاحي في القرن العشرين بتونس على يد احد ابرز شخصيات التونسية "عبد العزيز الثعالبي"[1]،الذي تعرض للاعتداءات متواصلة من طرف العلماء اتجاه أفكاره وسخريته من مسائل الأولياء والكرامات والخلاف بين الصحابة، هذا مما أثار غضب العلماء وأصحاب الطرق القادرية مما أشعره بالإحباط من إمكانية إصلاح قومه بمقال كتبه في مجلة المنار في شهر مارس من سنة 1903م، وفي السنة الموالية أي في 1904م حدث جدال بين الثعالبي والطرق الأخرى وفي نفس السنة اعتقل مدة شهرين، وكان ضحية تحالف بين شيوخ الزوايا وفقهاء الإسلام الرسمي، ووجهت له أصابع الاتهام باستهزائه بالقران الكريم وسلبه من الفصاحة والبلاغة وسبه للصحابة رضي الله عنه والازدراء بأولياء الله، فقد بنيت كل هذه التهم على شكل شكاوي ضده في المحكمة الشرعية[2].

لقد كتب عبد العزيز الثعالبي مقالات عديدة حول الطرق الصوفية في جريدة الليبرال، موضحاً تحالف هذه الطرق مع فرنسا خاصة التيجانية في عرقلة مقاومة الأمير عبد القادر، وكذلك تسهيل عملية تسلل فرنسا والايطاليين وانضمامهم إلى الطرق بهدف تسهيل عملية السيطرة واحتلال البلاد التونسية، ولم يخلوا المقال من السخرية حول سلوك سيدي قدور خلال دخول الاستعمار، ومن

[1]: **عبد العزيز الثعالبي**:ولد بتونس سنة 1874م، من عائلة جزائرية الأصل استقرت بتونس حوالي سنة 1830م، أسس سنة 1874 جريدة سبيل الرشاد، سافر إلى الشرق ثم عاد إلى تونس أين حوكم سنة 1904م بتهمة التطاول على الأولياء و الصحابة، و أصبح سنة 1909م المحرر للنشرة العربية لجريدة التونسي...**ينظر**: التليلي العجيلي، **المرجع السابق**، ص215.

[2]: قارة فاطمة، **المرجع السابق**، ص96.

خلالها بدأ تغيير موازين القوى لصالح الأفكار الجديدة مع مطلع القرن العشرين، ونتيجة لهذه الأفكار تم تأسيس الحزب الدستوري الحر التونسي منذ 1920م الذي انخرط فيه عدد كبير وانتهجوا سياسته وأفكاره ذات الطابع الديني العقلاني الذي يخدم ويتماشى مع واقع البلاد، مما أثار تخوفا لدى السلطات الاستعمارية من الخطر الذي أصبح يهدد تواجدها وأصبح مشايخ الطرق يكشفون الخطر الذي أصبح الوطنيون ينشرونه لدى الاستعمار ووصفهم شيخ الزاوية التيجانية ببوعرادة بالأعداء، وقد أرسل للسلطات الفرنسية بأن هؤلاء الوطنيين قد استحوذوا على كل القطاعات بأن الدستوريين أصبح منهم القيادة، والخليفة، كما صاروا في حاشية البيات، والوزير الأول، وفي الداخلية، وفي كل مكان تبعاً لسياسة المقيم العام مضيفا أن الدستوريين وبالسلطات التي صارت لهم يهدفون إلى تقويض تونس الفرنسية وجعل حكومتها في صالح أهدافهم المستقبلية وضد الإسلام الحقيقي الذي يجب أن يكون كلياً لفرنسا ومع فرنسا[1]، وقد قال شيخ الزاوية القادرية بالكاف:"**إن انتشار الأفكار الدستورية ضمن السكان المحليين يمثل ضرراً على الحكومة**"[2]،مما يتضح لنا جليا بأن شيخي الزاوية التيجانية والقادرية أعطت الأولوية لمصالحها الشخصية على حساب المصلحة الوطنية [3].

لقد كان شيخ الزاوية التيجانية ببوعرادة يصف الدستوريين بأعدائه وأعداء والده، وأنه لا هم لهم سوى عرقلة نشاطه خوفاً من نفوذه على أتباعه الذين عملوا على جلبهم إليهم، وأنهم عملوا على الانتقام من والده في قبره بالانتقام من ولده وعائلته، كما أن شيخ الزاوية القادرية بالكاف سابق

[1]: عليقي منيرة، **المرجع السابق**، ص64 وما بعدها.

[2]: **المرجع نفسه**، ص 66

[3] : التليلي العجيلي، **مرجع سابق**، ص 231.

الذكر قد أورد برقية إلى المراقب المدني بالكاف يشتكي فيها المسمى إبراهيم بن حسن الذي صده عن زيارة زاويته بالكاف قائلا فيها: "**إن المحرك الحقيقي لتلك الحادثة هو المسمى إبراهيم بن حسن... الذي ينتمي إلى الدستور، ولا يخفى عليكم ما فعله الدستور والعداوة التي يكنها لكل الطرق بدعوى أن مشايخها أعوان للحكومة الفرنسية... وحسب بعض الأهالي المعنيين بالأمر فإن الدستوري إبراهيم بن حسن يطلق على بعض الأتباع اسم الكلب ...، كما لا يتردد في شتمهم وشتم الزاوية في نفس الوقت...**"[1] وهنا يجدر بنا الإشارة بأن هذا الأخير معروف بتطرفه وعجرفته مع أولي الأمر، وقد سجن بسبب هذا الأمر مدة شهر على ذمه السلطة الحربية ولم يرتدع [2].

في حين أدان احمد توفيق[3] المدني الذي كان مناضلاً نشيطاً في صلب الحزب الدستوري قبل نفيه إلى الجزائر، هذه الطرق قائلا في مذكراته:"**إن فرنسا قد كونت حول سلطانها الاستعماري الفظيع سياجا خالته قويا متينا مؤلفا من شيوخ الطرق الصوفية، ولهم سلطان لا ينكرعلى الدهماء تعدهم وتمنيهم وتبذل لهم المرتبات والأموال، يتكلمون كلامها ويشربون بأعمالها ويؤيدون وجودها**"[4] وقد قال في موضع أخربأن الإسلام لا يرضى تفرق الطرق، وان الطرق الصوفية مضلة، وأنها هي من فرقت الشعب وشتت شملهم ومزقت قواعد الدين حتى أصبح كل منتسب لطريقة ما، وما أكثر

[1] : التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص 231.

[2]: المرجع نفسه،ص231،230.

[3]:**أحمد توفيق المدني**: ثائر ومناضل سياسي، ولد بتونس في الفاتح من نوفمبر سنة 1899م عاش مناضلاً سياسيا، وكرس جل حياته لخدمة وطنه متسلحا بالعلم وسيلة للدفاع عن مقومات الشخصية الجزائرية "الإسلام، العروبة، الوطنية الصادقة" وكان صاحب سبق إعلامي بما نشره من مقالات صحفية وبما كتبه من مؤلفات تاريخية، ومن بين أعماله " حياة كفاح" توفي في 18 أكتوبر 1983م، **ينظر**: الحاج عبد القادر يخلف، " المؤرخ أحمد توفيق المدني ومذكراته حياة كفاح"، **مجلة عصور جديدة**، ع د3،4، خريف 1432هـ/2011م وشتاء 1433هـ/ 2012م، ص175.

[4] : قارة فاطمة، **المرجع السابق**، 98.

الطرق، يلعن ويسب ويشتم بل يخرج من الدين كل المنتسبين للطرق الأخرى، بالدور الخطير الذي تلعبه من اجل عرقلة اكتساب الوعي المحدد لأفراد المجتمع لمواجهة الخطر الاستعماري، كانت الجرائد هي لسان حال هؤلاء الدستوريين وكانت جريدة المستقبل الاجتماعي هي لسان حال المجموعة الشيوعية بالبلاد، التي كانت تضم كل من عبد العزيز الثعالب، والهادي السبعي، وسيراز بن عطار هؤلاء اللذين وثقوا مقالات كان مفادها مكافحة التعصب الطرقي بالفلسفة النيرة والكونية للإسلام والقران[1].

وكان هناك تناقض سلوكي سياسي كبير بين النخبة الوطنية وسلوك الطرق الدينية في القضية الوطنية حيث نجد أن الطرق تقف وراء كل السياسة فرنسية، تباركها وتقف ضد كل ما هو وطني ففي حين كان الحزب الحر الدستوري التونسي سنة 1922 م واقفا معارضا لإصلاحات المقيم العام "لوسيان سان[2]" التي كانت تدعو للهيمنة الاستعمارية، نجد الطرق الصوفية تساند وتدعم هذه الإصلاحات، في حين أنها لزمت الصمت حول قضية التجنيس التي عرفها الحزب الحر الدستوري الذي استرجع أنفاسه النضالية التي ضعفت بسبب التعسف الذي لاقاه من طرف السلطة الاستعمارية[3]،وبسبب نفي الشيخ الثعالبي الى المشرق العربي ضعفت الحركة الوطنية داخل تونس فترة طويلة [4] على اثر

[1]: قارة فاطمة، المرجع السابق، ص98.

[2]: مع تعيين المقيم العام لويسيان سان 1921م تم وضع اصلاحات جديدة كان من ضمنها دمج تونس مع فرنسا وقد ايدت مجموعة من من الحركة الوطنية هذه الاصلاحات وأخرى رفضت مما أدى إلى إنشقاق الحزب الدستوري الحر و تأسيس سمي فيما بعد بحزب الإصلاح وقد ضم حسن القلاتي و الشاذلي و القسطلي ولكن لم يعمر طويلاً و سرعان ما أصبح عبارة عن مجموعة من المثقفين و المتعاونين مع سلطة المحتل فنبذهم الشعب. **ينظر**، الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية روئية شعبية وقومية جديدة، دار المعارف، ط02، تونس، د س، ص56.

[3] : عليقي منيرة، مرجع سابق، ص68

[4] : الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص57.

مواقفه من أزمة أفريل 1922م، وعرف كيف يوظف الشعور الديني متجنبا بذلك قانون 20 ديسمبر 1923م الخاص بهذه القضية[1] وفي سنة 1924م عاد الحزب الدستوري التونسي إلى الواجهةبمطالب جديدة و أسس بعض من شباب الحزب اللذين عدوا من فرنسا جريدة سميت لجريدة صوت تونس في سنة 1928م و التي اصبحت فيما بعد تحمل اسم العمل التونسي ، وقد كانت وراء تنشيط الحزب[2].

وفي سنة 1930 أنعقد المؤتمر الأفخارستي وكان سبب انعقاد هذا المؤتمر هو مرور نصف القرن على الاحتلال الفرنسي لتونس، وقد وجد هذا المؤتمر حملة شرسة من طرف الحزب الدستوري الحر لأن غاية المؤتمر كانت استعمارية بدرجة اساسية، فقد كان رجال الدين المسيحي يحاولون اقناع الشعب العربي بتونس بأن الاحتلال الفرنسي بتونس هو عمل طبيعي وأن الوجود العربي هو الوجود الغازي لهذه الأرض التونسية الرومانية، وأنهم يسعون إلى ارجاع التونسين إلى أصلهم المسيحي الروماني؛ ولكن وجد هذا المؤتمر تصدي كبير من طرف علماء الزيتونة و طلابها ورجال الحركة الوطنية، فقامت المظاهرات و الاضرابات وقادت جريدة "الصوت التونسي" حملات مؤثرة إلى أن أبطل هذا المؤتمر مزاعم القساوسة الاستعماريين وبسببها أحيل المقيم العام "بروتن" مجموعة جريدة " الصوت التونسي" إلى المحاكمة ، ولكن الصغط الشعبي المظاهرلت استطاعت أن توقف هذا القمع عند حده.[3]

لقد شهدت سنة 1933 م اضطرابات واسعة مست مختلف الأوساط الطلابية الزيتونية والقادرية مما أدى بالمقيم العام والباي إلى فرض الرقابة الإدارية، وضرب الصحف التونسيةالتي تصدر باللغة

[1] : علقي منيرة، المرجع السابق، ص70.

[2] الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص57.

[3]: المرجع نفسه، ص58.

العربية، وحجر الصحف الوطنية يوم 27 ماي 1933م، وقد تم حل الحزب الحر الدستوري في 31 ماي 1933م، نتج عنه مقاطعة للسلع الفرنسية، وتكثيف النشاط الوطني، وتم نفي سبعة من قادة الحزب الجديد إلى الجنوب التونسي في 03 سبتمبر من السنة الموالية، كما صودرت جريدة العمل ومنعت الاجتماعات، أدى إلى احتدام الوضع أكثر من قبل، في حين بقيت الطرق الصوفية مكتوفة الأيدي غير مبالية بالواقع آنذاك، مما ساهم في عزلتها وبقيت تعرب عن ولائها الدائم لفرنسا، بحجة أنها هي من تقدر على المحافظة على الأمن ضد الوطنيين التي وصفتهم بمحترفي الإخلال بالنظام وذوي الأعمال السيئة[1]، وهذا ما يوضح مدى تناقضهم مع ما اجمع عليه اغلب سكان البلاد في حين صدرت القرارات التعسفية، وصودرت فيها الصحف، وابعد فيها بعض الزعماء الحركة الوطنية،كان بعض أصحاب الطرق يشاركون في المواكب الرسمية للمقيم العام التي تنظم في أنحاء الإيالة، ولا يتم مقاطعتها من طرفهم بل حتى يتم مباركتها[2]، وفي المقابل فإن بعض أصحاب الطرق الصوفية الذين تكررت مشاركتهم مع المواكب الرسمية التي نظمت لاستقبال المقيم العام الفرنسي أثناء تنقلاته لم نجدهم ضمن المشاركين في الاستقبال الذي حظي به بعض جهات البلاد وبعض زعماء الحركة الوطنية كالحبيب بورقيبة، أثناء زيارته لصفاقس يوم 9 سبتمبر من سنة 1936م.[3]

عموماً فإنما حققته الحركة الوطنية من انخراط واندماج في صفوفها وتطورها الكبير في بداية الثلاثينيات أدى إلى قضاء وتراجع السيطرة الطرقية في البلاد، ونظراً لتخوف الاستعمار من مؤهلات

[1]: عليقي منيرة، **المرجع السابق**، صص69، 70 .

[2]: التليلي العجيلي، **المرجع السابق**، ص173.

[3]: المرجع نفسه، ص239.

الوسط الحضري في التمرد، سعيت إلى تضخيم اصطناعي لدى دور الطرق بالمدن[1]، فمن خلال المقارنة بين تاريخ الطرق الصوفية خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن العشرين وماتلاها من تحولات يؤكد على بداية فقدان هذه الطرق لمكانها الأدبية والاجتماعية على أتباعها بفعل السياسة الاستعمارية المطبقة معها، مما أدى إلى أفول بريقها وتراجع مصداقيتها لدى أتباعها، وكذلك بسبب ظهور قوة اجتماعية وسياسية جديدة تخدم مطالب الشعب، ولعل أن ابرز أسباب هذا الضعف الذي مس هذه الطرق كان بسبب النزاعات الداخلية و منصب شيخ الزاوية، والصراعات بين الطريقة و الأخرى لإثبات صحتها، فاستغلتها سلطة الاستعمار أحسن استغلال لضرب الأطراف المتنازعة ببعضها البعض، وبالتالي سيؤدي ذلك إلى ضعفها، وكان موقفها المخيب للآمال اتجاه الأحداث الوطنية أحد أبرز الأسباب التي افقتدها الكثير من أتباعها،كما كان لبوادر ظهور الحركة الإصلاحية والتحولات الفكرية والاجتماعية التي أحدثتها في مختلف أنحاء البلاد الدور الكبير في تقلص هذه الطرق، بالإضافة إلى تأثرها بالحضارة الأوروبية خاصة من خلال البعثات الطلابية والمؤسسات التعليمية التي تزايدت في ذلك الوقت مثل المدرسة الصادقية 1875م، والخلدونية في 1897م التي ساهمت في بلورة الآراءالإصلاحية، وبالتالي سيتم زرع حركة فكرية إصلاحية تقضي على الاستبداد والركود والأفكار المتحجرة للطرق الصوفية.[2]

[1]: قارة فاطمة، **المرجع السابق**، ص103.

[2]: عليقي منيرة، **المرجع السابق**، ص ص71،72.

نستنتج مما سبق:

يتبين لنا من خلال ما تطرقنا له في هذا الفصل بأن السلطة الفرنسية قد انتهجت سياسة محكمة ضربت بها نقاط قوة البلاد، ألا وهي الطرق الصوفية التي كانت ذات نفوذ اجتماعي و اقتصادي واسع و كبير خصوصاً بعد تجربتها مع الطرق الصوفية في الجزائر التي أدركت من خلالها أنها من بين ابرز التنظيمات التي يمكن أن تشكل مصدر خطر على تواجدها في المجتمعات المغاربية فأخذت تتغلغل بسياسة استعمارية مدروسة ومحكمة من اجل زعزعت استقرارها دون ممارسة العنف أو الدخول في صراعات مباشرة فأخذت هذه الأخيرة ببعث رحلات استكشافية جمعت من خلالها معلومات كافية عن الطرق الصوفية في البلاد التونسية وطبقت بعد دخولها للإيالة سياسة الاحتواء و التوظيف كما أنها قد تدخلت في تسمية مشايخها و مراقبة تنقلاتهم وبذلك أفرغت هذه الطرق من محتواها الروحي و قزمت دورها و نفوذها بين الأتباع، في حين نرى أن ردود الفعل و المواقف التي أظهرتها هذه الطرق اتجاه الحماية قد كانت متباينة فهناك من أعربت عن ولائها واتخذت سياسة المهادنة و المسارعة لكسب صداقتها و أخرى عملت على مقاومتها عن طريق المقاومات و الانتفاضات رغم قلة الإمكانية و العتاد، وعموماً فإن الطرق الصوفية بالبلاد التونسية كانت لها ردة فعل مخيبة للآمال اتجاه المسائل والقضايا الوطنية خصوصاً بعد ظهور الحركة الوطنية فقد كانت مواقفها غير واضحة ان لم نقل انها سلبية مما أفقدها مكانتها وأتباعها الذين كانوا يعدون بالآلاف داخل وخارج البلاد.

خاتمة

خاتمة:

من خلال هذه الدراسة نستنتج ما يلي:

– لقد شهد التصوف تضارب واسع بين المؤرخين والعلماء حول مفهومه ونشأته، إلا أنه يعتبر طريق ديني شد انتباه الكثيرين وقد تبنوه كسلاح روحي مضاد لكل ما هو مادي يشغل العبد عن التواصل الروحي وإتباع طريق الزاهدين في هذه الحياة.

– وقد مر التصوف الإسلامي وطرقه بمراحل حاسمة أدت إلى تشكل معالمه داخل العالم الإسلامي منذ أن كان يعرف بالزهد و ذلك خلال القرنين الأول و الثاني للهجرة وصولاً إلى أن أصبح علم قائم بذاته وفق أسس و مراكز للتربية الروحية تضم جماعات صوفية و أحياناً تكون وسيلة من وسائل مقاومة الاستعمار خاصة بعد أن دخل إلى إفريقيا قادماً من بلاد الأندلس ما بين القرنين التاسع للهجرة و الخامس عشر للميلاد وقد انتشرت الزوايا انتشاراً واسعاً هناك.

– إن ظاهرة الطوائف و الطرق الصوفية قد ظهرت منذ القرن الثالث للهجرة فأصبح لكل طريقة منهج خاص بها ينسب أسمها إلى مؤسسها أو شيخها مثل الطريقة السقطية نسبة إلى السرى السقطي أو الشاذلية نسبة إلى أبو الحسن الشاذلي و الأمثلة كثيرة هدفها روحي إسلامي خالص.

–ضمت البلاد التونسية طرق صوفية كثيرة و متنوعة وقد صنفت إلى صنفين ألا و هي طرق أصلية و أخرى فرعية، الصنف الأول يتمثل في الطريقة الأم مثل الطريقتين القادرية و التيجانية، أما الصنف الثاني فهي الطرق الفرعية وهي المنبثقة عن الطرق الأصلية مثل الطريقة الشاذلية و الطريقة الشابية، و الطريقة العيساوية و السلامية وغيرها من الطرق، إلا أن الطريقتين التيجانية و القادرية

كانتا الأبرز سواءً بتأثيرهما و قوتهما الاقتصادية أو الروحية و حتى الاجتماعية التي استغلتها سلطة المحتل فيما يخدم التواجد الاستعماري والسيطرة على الشعوب.

– وقعت البلاد التونسية تحت ضل الحماية الفرنسية سنة 1881م بعد أن كانت تمر بمشاكل واضطرابات داخليةوخارجية واسعة خصوصاً و أن حدودها الغربية كانت تطبق عليها سيطرة كبيرة بسبب الاحتلال المطبق على الجزائر منذ سنة 1830م.

- بمجرد توقيع معاهدة الحماية في 12ماي 1881م التي لحقتها معاهدة المرسى سنة1883م و بموجبها أصبحت البلاد التونسية تحت ضل الحماية الفرنسية مسلوبة المصالح و الشؤون مسلمة لقناصل المستعمر.

- تنوعت الأساليب التي اعتمدتها فرنسا ضد الطرق الصوفية بين أساليب اغرائية و أخرى إجبارية من أجل ضرب نقاط قوتها، فعمدت في البداية إلى بعث الرحلات الاستكشافية لدراسة كل جوانب هذه الطرق ثم بعد دخولها للإيالة انتهجت سياسة التدجين و التوظيف و الاحتواء و أخذت تمنحها امتيازات واسعة مما مكنها من التدخل في سياستها من مصادرة للأراضي و الأحباس الخاصة بها و منع الزيارات و مراقبة تنقلات مشايخ الطرق و تسمياتهم و بذلك أفرغتها من محتواها الروحي و قزمت دورها و نفوذها و مكانتها الاقتصادية و الاجتماعية بين الأتباع.

- بالنسبة لردود الفعل و المواقف التي أظهرتها هذه الطرق اتجاه الحماية فقد كانت متباينة فهناك من أعربت عن ولائها و انتهجت سياسة المهادنة و المسارعة لكسب ود و صداقتها وسعت إلى تثبيط و قتل روح المقاومة و الانتفاضات الجماهيرية في الأوساط الشعبية و على رأسهم ما قام بهِ شيوخ الزاويتين التيجانية و القادرية في حين كانت هناك طرق و زاويا رفضت التواجد الفرنسي

في تونس ونظمت ضده مقاومات و انتفاضات واسعة رغم قلة الإمكانية و العتاد مثل الطريقتين الرحمانية و السنوسية فكانتا وراء أغلب المقاومات التي قادتها بعض القبائل في الجنوب (قابس-صفاقس) و المقامة بالساحل و الوسط و الوسط الغربي أو المقاومات التي شهدها الشمال و الشمال الغربي للبلاد التونسية.

- لقد كانت ردود فعل الطرق الصوفية اتجاه القضايا الوطنية التي شهدتها تونس مثل أحداث الزلاج وأحداث مقاطعة الترامواي في 09فيفري 1912م وأحداث 09أفريل1938م وقضية التجنيس مخيبة للآمال بل حتى أنها سعت إلى مساندة سلطة الاحتلال من أجل العثور على حلول لها.

-منذ مطلع القرن العشرين برز الفكر الإصلاحي بتونس على يد أحد أبرز الشخصيات التونسية و هو "عبد العزيز الثعالبي" أعقبه ظهور للوعي الوطني السياسي متجسد في الحركة الوطنية من خلال الحزب الدستوري التونسي سنة 1920-1930م حيث أصبح موقف الطرق الصوفية أكثر عداءً و لم يتوقف الحد عند المماطلة و السكوت و تجاهل المواقف الوطنية وحالة البلاد فقط بل وصل الأمر إلى تحريض السلطة الفرنسية اتجاه هذه الأحزاب و التجمعات خوفاً منها على فقدان مكانتها و نفوذها و أتباعها وسط المجتمع وعند سلطة المحتل و هذا ما حدث بالفعل فقد تراجع دورها و نفوذها و مكانتها بسبب مواقفها السلبية اتجاه القضايا الوطنية و السياسة الفرنسية التي طبقتها اتجاهها فقد ضربها في نقاط قوتها و بالتالي أدت إلى اضمحلالها وقتل دورها داخل المجتمع.

الملاحق

الملحق رقم 01: الطرق الفرعية عن القادرية: [1]

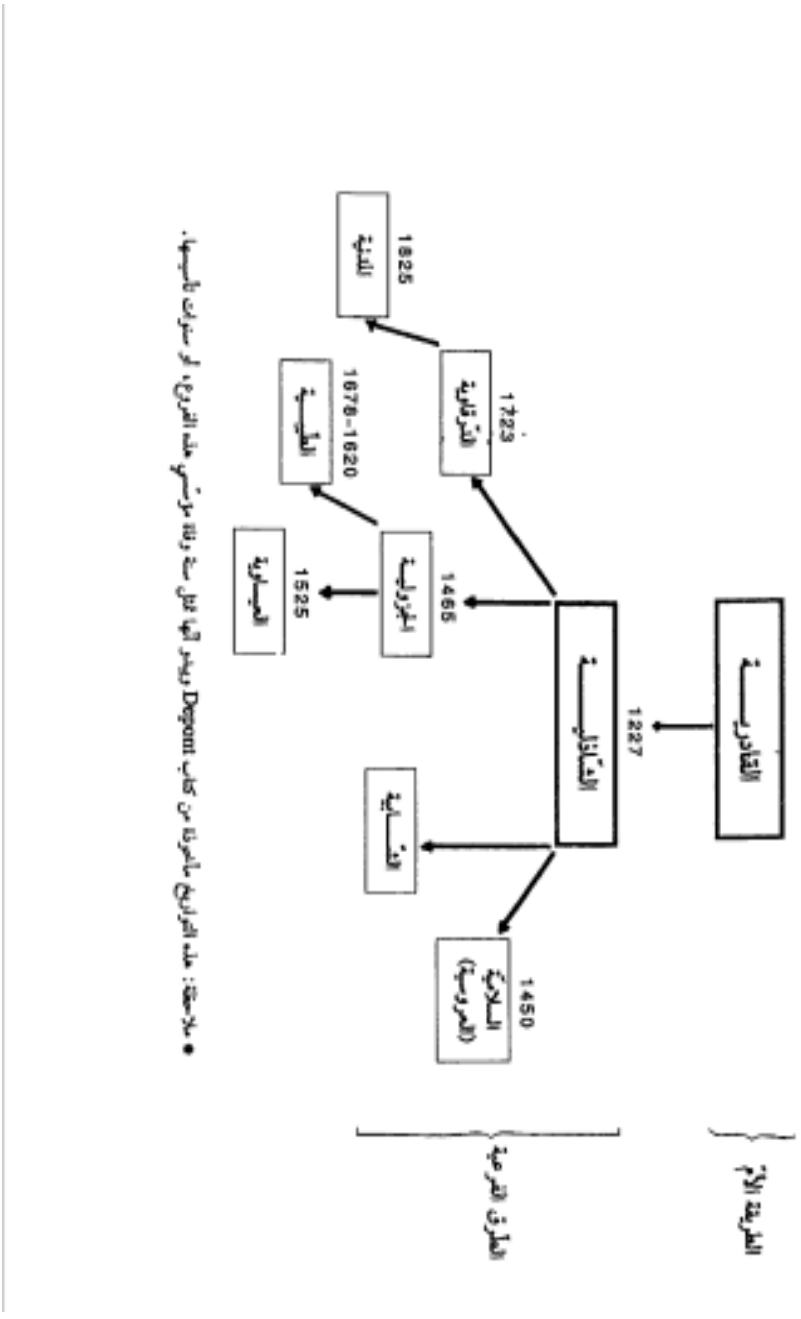

1 : التليلي العجيلي، **المرجع السابق**، ص46.

الملحق رقم 02:عدد أتباع الطريقة التيجانية حسب إحصاء 1925م.[1]

جدول إنتشار الطريقة (حسب إحصاء 1925)

المدن	عدد الزوايا	العدد الإجمالي
بنزرت	02	293
تونس	06	501
قرنبالية	01	51
مجاز الباب	01	201
سوق الأربعاء	01	22
باجة	/	400
الكاف	01	1015
سوسة	03	123
تالة	/	5350
القيروان	02	1578
قفصة	/	500
قابس	03	406
توزر	03	555
مدنين	01	68
تطاوين	/	5031
المجموع	24	16054

1ابن يوسف التلمساني، **مرجع سابق**، ص109.

الملحق رقم 03:خريطة تونس. توضع بعض القبائل التي ذكرت في البحث[1]

1التليلي العجيلي، **مرجع سابق**، ص271.

الملحق رقم 04:معاهدة الحماية على تونس.[1]

النص الكامل لمعاهدة باردو

التى فرضتها فرنسا على تونس ووقعها محمد الصادق باى
فى ١٢ مايو سنة ١٨٨١

إن دولة الجمهورية الفرنسية ودولة سمو باى تونس ، لما كان من غرضهما أن يمنعا إلى الأبد حدوث قلاقل كالتى حصلت أخيراً على حدود الدولتين وبسواحل المملكة التونسية ، وأن يحكما علاقات ودادهما القديم وروابط حسن الجوار ، فقد اتفقنا على عقد معاهدة من شأنها تحقيق مصالح كلا الجانبين السامبين المتعاقدين ـ وبناء على ذلك فإن فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية قد عين جناب الجنرال بربار نائباً مفوضا من طرفه ، فاتفق جنابه مع سمو الباى المعظم على البنود الآتية :

البند الأول : أن معاهدة الصلح والمودة والتجارة وجميع المعاهدات الأخرى الموجودة الآن بين الجمهورية الفرنسية وسمو باى تونس قد وقع تأكيدها وتجديدها .

البند الثانى : لأجل تسهيل القيام بالاجراءات التى يتحتم على دولة الجمهورية الفرنسية اتخاذها للوصول للغرض الذى يقصده الجانبان العاليان المتعاقدان ، قد رضى سمو باى تونس بأن تحتل القوات الفرنسية العسكرية المراكز التى تراها صالحة لاستتباب النظام والأمن بالحدود والسواحل . ويزول هذا الاحتلال عندما تتفق السلطتان الفرنسية والتونسية وتقرران معاً بأن الإدارة المحلية قد أصبحت قادرة على المحافظة على استتباب الأمن العام .

1يونس درمونة، **تونس بين الاتجاهات**، د ط، دار الكتاب العربي، مصر، 1953، ص ص 153-155.

الملحق رقم 05حوالة بريدية بمبلغ 800 فرنك من القنصل روا إلى شيخ الزاوية القادرية سيدي قدور.[1]

حوالة بريدية بمبلغ 800 فرنك موجّهة
من روا الى سيدي قدّور

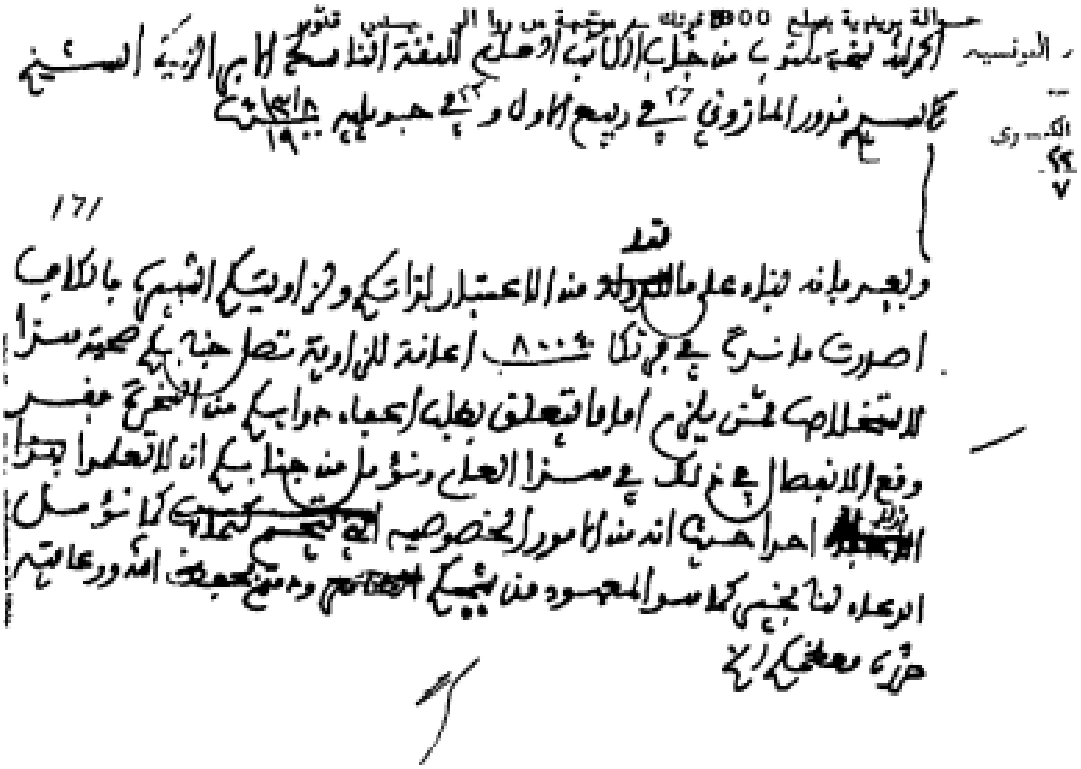

1 : التليلي العجيلي، **مرجع سابق**، ص277.

الملحق رقم 06:شيخ الزاوية التيجانية ببوعرادة الشريف المنوبي.[1]

محمد الشريف بن الشيخ المنّوبي التيجاني
شيخ زاوية التيجانية ببوعرادة

1التليلي العجيلي، **مرجع سابق**، ص267.

الملحق رقم 07:بعض القبائل التي ساهمت في المقاومات الشعبية وانتمائها الطرقي.[1]

إسم القبيلة التي ساهمت في المقاومة	الطرق الصوفيّة التي تنتمي إليها
مـــاجـــر	القادرية، التّيجانية، والرّحمانية(69)
الفراشيـــــش	أغـلـبـهـم رحـمـانـيّـة (70)
أولاد مُهَنّـة	
القوايْـــــد	
ونيفـــــة	
أولاد ــ «القبالـة»	قادريّـة + رحـمـانيّـــة (71)
عـيّـار ــ «الظّهارة»	كلهّم تـقـريـبـا رحمانيّـة
جـــلاص	الرّحـمـانيـة والـقـادريّـة (72)
ورْتـــان	القادريـة والرّحمانيـة (73)
الـهـمـامـة	جـزء هـام منهـم قادريّـة (74)
الزّغـالـة	القادريـة والرّحمانيّـة (75)

1:التليلي العجيلي، **مرجع سابق**، ص130.

المصادر و المراجع

*.القرآن الكريم.

المصادر:

✓ **الكتب :**

1. ابن خلدون : **مقدمة ابن خلدون**، ط05، دار صادرات، 2005م.

2. ابن خلدون : **شفاء السائل و تذهيب المسائل**، تح: د،محمد مطيع الحافظ، دار الفكر المعاصر بيروت، ط01، 1417هـ/1996م.

✓ **المراجع:**

1. ـــ :**تاريخ الجزائر الثقافي**، دار الغرب الإسلامي، ج04، 01، بيروت، 1998م.

2.يونس درمونة، **تونس بين الاتجاهات**، دط، دار الكتاب العربي، مصر، 1953م.

3. عبد الله الطاهر، **رؤية شعبية قومية جديدة** 1956/1830، دار المعارف، ط02، تونس، د س.

4.أبو الوفاء الغنمي التفتازاني : **مدخل إلى التصوف الإسلامي** ، ط03، دار الثقافة للنشر و التوزيع القاهرة، 1979م.

5.بكر محمد بن الكلابادي: **التعريف لمذهب أهل التصوف**، مكتبة الخانجي، القاهرة 1415هـ/1994م.

6.بن عبد الوهاب أحمد، محمد :**القبيلة و الزاوية في تونس**، دراسة سوسيولوجية لفرقة العكارمة بقفصة، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية و الاقتصادية و السياسية، ط01، برلين فيفري2021م.

7.ثامر الحبيب :**هذه تونس**، مكتبة المغرب العربي، د ط، د س.

8.الجمل شوقي عطاالله إبراهيم وعبد الرزاق: **تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر**، دار الزهراء، ط02 الرياض، 1422هـ/2002م.

9.حمدي أيمن :**قاموس المصطلحات الصوفية**، دار قباء للطباعة و النشر،القاهرة، 2000.

10.خوجة لطف الله :**موضوع التصوف الإسلامي**، سلسلة البحوث المحكمة، مكتبة الملك فهد الوطنية،د ط، مكة المكرمة، 1432هـ.

11.رزقي لطيف :**الطريقة التيجانية في تونس التاريخية و الأوقاف**، دار الأهرام، تونس، ط01 1440هـ/2019م.

12.الزمرلي الصادق :**أعلام تونسيون**، تقديم حمادى الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط01 د س.

13.زيتون محمد،محمد: **القيروان و دورها في الحضارة الإسلامية**، دار المنار، ط01، القاهرة 1408هـ/1988م.

14.السرجاني راغب: **قصة تونس من البداية إلى الثورة 2011م**، دار أقلام للنشر و التوزيع ط01، القاهرة، 2011م.

15.سعد الله أبو القاسم :**تاريخ الجزائر الثقافي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج01 1998م.

16.السهلي عبد الله بن دجين :**الطرق الصوفية(نشأتها_عقائدها_أثاؤها)**، كنوز اشبيليا الرياض، ط01، 1426هـ/2005م.

17.السيد عقيل بن علي المهدلي: **مدخل إلى التصوف الإسلامي**، دار الحديث، ط02،

18.الشريف محمد الهادي :**تاريخ تونس من العصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، تر: محمد شاوش الشريف و محمد عجينة، دار سراس، ط03، تونس، 1993م.

19.شهبي عبد العزيز: **الزوايا الصوفية و العزابة و الاحتلال الفرنسي في الجزائر**، دار الغرب للنشر و التوزيع، الجزائر، 2007م.

20.صلاح مؤيد العقبي، **الزوايا و الطرق الصوفية بالجزائر تاريخها و نشاطها**، دار البرق، باريس، 2002.

21.عبد الله عبد الرزاق إبراهيم : **أضواء على الطرق الصوفية في القارة الأفريقية**، مكتبة مدلوبي، القاهرة, 1990م.

22.العجيلي التليلي: **الطرق الصوفية و الاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية**، منشورات كليات الأدب بمنوبة، تونس، 1992م.

23.عميراويأحميدة :**الجزائر في أدبيات الرحلة و الأسرى خلال العهد العثماني**، مذكرات تيديا نموذجا، دار الهدى، ط01، الجزائر، 2009م.

24.غالب عبده و عيسى أحمد :**مفهوم التصوف**، دار الجيل للنشر، بيروت، ط01، 1415هـ/ 1992م.

25.القصاب أحمد: **تاريخ تونس المعاصر 1881/1956م**، الشركة التونسية للتوزيع، ط01 تونس، 1986م.

26.الكشاني عبد الرزاق :**معجم اصطلاحات الصوفية**، تحقيق عبد العال شاهين، دار المنار للطبع و النشر و التوزيع،ط01، القاهرة، 1413هـ/1992م.

27.محجوبي علي : **انتصاب الحماية الفرنسية بتونس**، سراس للنشر و التوزيع، تونس 1986م.

28.المرزوقي محمد :**دماء على الحدود**، دار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1976.

29.المهيدي محمد صالح: **تونس في تراجم أعلامها**، ذاكرة و إبداع، دراسة أنس الشابي، وزارة الثقافة المركز الوطني للاتصال الثقافي، المكتبة الوطنية التونسية، ج01، تونس، 2012م.

30.النبال محمدالبهلي : **الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي**، مكتبة النجاح، تونس 1905م/1384هـ.

31.نهيان يحي محمد: **معجم مصطلحات التاريخ**، دار يافا للنشر و التوزيع، الأردن، 2008م.

32.اليعلاوي أيمن، الساحلي حمادى :**ديوان الشيخ إبراهيم الرياحي**، دار الغب الإسلامي بيروت، 1180_1266هـ/1850_1767م.

✓ **المجلات و المقالات:**

1. بلحاني جوهر : "**الأبعاد الأخلاقية للتصوف الإسلامي**"، مجلة تنوير، ع02، الجزائر، جزان 2017م.
2. بو قدام حمزة : "**الحضور الصوفي الجزائري بمدينة الكاف خلال القرن 19م**"، المجلة التاريخية الجزائرية، مج05، ع02، الجزائر، 2021.
3. حيد عبد العزيز :"**الجوسسة الفرنسية في الجزائر في العصر الحديث و المعاصر_ الجاسوس ليون روش**"، مجلة كان التاريخية، السنة الثالثة، ع10.
4. رجب مفتاح إبراهيم :"**الطريقة المدنية نشأتها و ظهورها في ولاية طرابلس الغرب على يد مؤسسها محمد المدني الكبير 1824/1846م**"، المجلة العلمية لكلية التربية، ج01، ع07 جامعة مصارتة، ليبيا، مارس2017م.
5. سامي بن علي القليطي، الفرق بين المعجزات و غيرها من خوارق العادات، **مجلة الدراسات العربية**، دم، دع، كلية دار العلوم، جامعة ألمنيا، دس
6. شدري رشيدة :"الزوايا ودورها الديني و الثقافي في الجزائر خلال العهد العثماني"، **مجلة المعيار**، الجزائر، العدد49، الجزائر، السنة2020م.

7. الشوبكي محمد يوسف :"مفهوم التصوف و أنواعه في الميزان الشرعي"، **مجلة الجامعة الإسلامية**، غزة، ع02، 2002م.

8. صادق أثير عبد الكريم :"التجارة في صفاقس خلال القرنين الثاني و الثالث للهجريين" **دراسات تاريخية**، ع 16، 2014.

9. عاصمي سكينة :"الطريقة القادرية بالجريد التونسي من النشأة إلى الاضمحلال 1843/1954م"، **المجلة الجزائرية للبحوث و الدراسات التاريخية**، مج03، ع05، مخبر الدراسات و البحوث المتداخلة و المقارنة، تونس، جوان 2017م.

10. عصفور محمد سليمان :"**الحماية الفرنسية على تونس عام 1881م و الموقف العثماني و الأوروبي منها**"، مجلة ديالة، ع56، كلية التربية للعلوم الإنسانية، العراق، 2012م.

11. عليوي جمعة و أخرون :"**السياسة الفرنسية حيال تونس 1881/1914م**"، مجلة الأستاذ، مج01، ع214، المدرية العامة للتربية، بغداد، 2015م/1432هـ.

12. فغروري دحو :"**جول فيري مهندس الإمبراطورية الفرنسية**"، عصور جديدة ع01، 2011م/1432هـ.

13. مداح محمد و بليل محمد : "**رأس المال الفرنسي و امتيازاته في تونس قبل 1881م**" مجلة عصور جديدة، مج10، ع04، ديسمبر 1442هـ/2020م.

14. مصباح عفاف بلق :"**التصوف الإسلامي (مفهومه_نشأته_تطوره_مصادرة)**"، مجلة كليات التربية، ع14، 2019م.

15. نور الدين صابر :"**كزافي كبولاني و التوسع الفرنسي في المغرب العربي 1866/1905م**"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج05، ع19، ديسمبر2017م.

16. يخلف عبد القادر :"**المؤرخ أحمد توفيق المدني و مذكراته حياة كفاح**"، مجلة عصور جديدة، ع3،4، خريف 1432هـ/2011م وشتاء 2012.

✓ **الرسائل الجامعية :**

1. التلمساني بن يوسف: **الطريقة التيجانية و موقفها من الحكم المركزي بالجزائر(الحكم العثماني– الأمير عبد القادر –الإدارة الاستعمارية) 1782_1900م**، شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، غير منشورة، جامعة الجزائر، 1998/1997م.

2. بن تيشةأحمد :**الصلات الروحية بين الطرق الصوفية في بلاد المغرب أثناء العهد العثماني** مذكرة ماجستير، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بالعباس، 1436_1437هـ/2014_2015م.

3. دركوش أحمد :**موقف الطرق الصوفية من الاستعمار في الجزائر و تونس 1830/1914م القادرية_ التيجانية نموذجا**، مذكرة ماجستيرفي التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية، جامعة الجزائر02، الجزائر، 2012/2011م.

4. شيح لعرج :**موقف الطريقة التيجانية من قضايا الاستعمار الكبرى في شمال و غرب أفريقيا خلال القرن 19م و بداية القرن 20م**، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، قسم التاريخ و علم الأثار، كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإسلامية، أحمد بن بلة، وهران 2017/2016م.

5. عليقي منيرة :**الطرق الصوفية و المسألة الوطنية في تونس 1881/1956م**، مذكرة ماستر تاريخ المغرب العربي المعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة العربي بن مهيدي ،أم البواقي 2022/2021م.

6. بو غديري كمال :**الطرق الصوفية في الجزائر(الطريقة التيجانية نموذجا)**، أطروحة دكتوراه في العلوم، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الدكتور محمد لمين دباغين، سطيف، 2015/2014م.

7. قارة فاطمة: **موقف الطرق الصوفية التونسية من الحماية الفرنسية (1881/1939)الطريقة القادرية و التيجانية**، رسالة ماجستير، التاريخ الحديث

و المعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر02، الجزائر 2012/2011م.

8. يحياوي حنان و يماني نعيمة :**مواقف الأعيان و الزعامات المحلية من فرض الحماية الفرنسية على تونس و المغرب الأقصى**، شهادة ماستر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، 1438_1438هـ/2017_2018م.

9. مسعودي زهرة، **الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب إفريقيا من القرن 18م إلى 20م** مذكرة ماجستير في التاريخ، التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة أدرار 2010/2009م.

الموسوعات:

1. الحفني عبد المنعم :**الموسوعة الصوفية"أعلام التصوف و المنكرين عليه و الرق الصوفية** دار الرشاد، 1992م/1412هـ.

2. خطار محمد يوسف: **الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية**، مكتبة دار الألباب، 1999م

3. سمير أبو حمدان، **موسوعة عصر النهضة**، خير الدين التونسي، دار الكتاب العالي، بيروت، 1993/ 1413هـ.

✓ **المصادر و المراجع الأجنبية:**

1. -Dépont Octave et CoppolaniXavier,**Les Confréries Religieuses Musulmanes** ,Jordan Alger ,1897

2. -Rinn Louis, Marabouts et Khouans ,**Etude sur l'Islam en Algérie** , Adolphe Jourdan, Libraire-éditeur, Alger,1884

فهرس المحتوى

الشكر والتقدير.....

الإهداء.....

المقدمة .....أ–و

الفصل الأول: مفهوم التصوف ونشأته.....01 –19

المبحث الأول: مفهوم الزاوية:.....02–03

المبحث الثاني: مفهوم التصوف:.....04–09

المبحث الثالث: مفهوم الطريقة الصوفية:.....10–11

المبحث الرابع: نشأة التصوف في الإسلام و طرقه:.....12–19

الفصل الثاني:الطرق الصوفية و الحماية الفرنسية على تونس:.....20–46

المبحث الأول: الطرق الأصلية:.....20 –25

المبحث الثاني: الطرق الفرعية:..... 26–32

المبحث الثالث: موارد الطرق الصوفية في تونس:.....33 –34

المبحث الرابع: الحماية الفرنسية على تونس:.....35 –46

الفصل الثالث: دور الطرق الصوفية في مقاومة التواجد الفرنسي في تونس و موقفها من المقاومات الشعبية و الحركة الوطنية:.....47 –85

المبحث الأول:السياسة الفرنسية اتجاه الطرق الصوفية:.....48 –56

المبحث الثاني: موقف الطرق الصوفية من الحماية الفرنسية على تونس.....57 –63

المبحث الثالث: موقف الطرق الصوفية من المقاومات الشعبية:.....64 –73

المبحث الرابع: موقف الطرق الصوفية من الحركة الوطنية:.....74 –85

الخاتمة:.....,.....86 –89

الملاحق:.....90 –97

المصادر و المراجع:.....98 –105

الفهرس:.....107 –108

الملخص.....110

ملخص الدراسة:

عرف التصوف الإسلامي انتشارا واسعا وتطورا كبيرا على مدى السنين حتى أصبح في شكل نظام طرقي، وانتشر في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك دول المغرب العربي قادماً من المشرق ، ونخص بالذكر البلاد التونسية ، وتنوعت الطرق الصوفية في تونس بين طرق أصلية وأخرى فرعية، فمن بين أهم الطرق الأصلية القادرية و التيجانية وخلال الفترة التي طبقت فيها الحماية الفرنسية على تونس استهدفت فرنسا نقاط قوة هذه الطرق بسياسة صارمة تهدف إما إلى كسب صداقتها أو القضاء على نفوذها ومكانتها، وهناك طرق رحبت بفكرة الحماية واعتمدت طريقة الاسترضاء، وطرق أخرى رفضت الفكرة واعتمدت طريقة المقاومة، وأما موقفها مع المقاومة الشعبية والحركة الوطنية ، فقد كان مخيبا للآمال في الغالب، وهذا أدى إلى تراجع مكانتها داخل المجتمع فيما بعد.

الكلمات المفتاحية: تونس، السياسة الفرنسية، الطرق الصوفية، الحركة الوطنية، الحماية.

Study summary

Islamic mysticism has known a wide spread and great development over a period of time until it became in the form of a system of methods and spread all over the world, including the Maghreb countries coming from the East, especially the Tunisian state, and the Sufi methods in Tunisia varied between the original methods and other sub-methods, we find among the most important original methods Qadiriyya and Tijaniyya , During the period when the French protection was applied to Tunisia, France targeted the strengths of these methods with a strict policy aimed at either winning its friendship or eliminating its influence and status, there are ways that welcomed the idea of protection and adopted the method of appeasement, and other ways rejected the idea and adopted the method of resistance, and as for its rupture with the popular resistance and the national movement, it was mostly disappointing, and this led to a decline in its position within society later

Keywords: Tunisia, French politics, Sufi roads, national movement, protection.